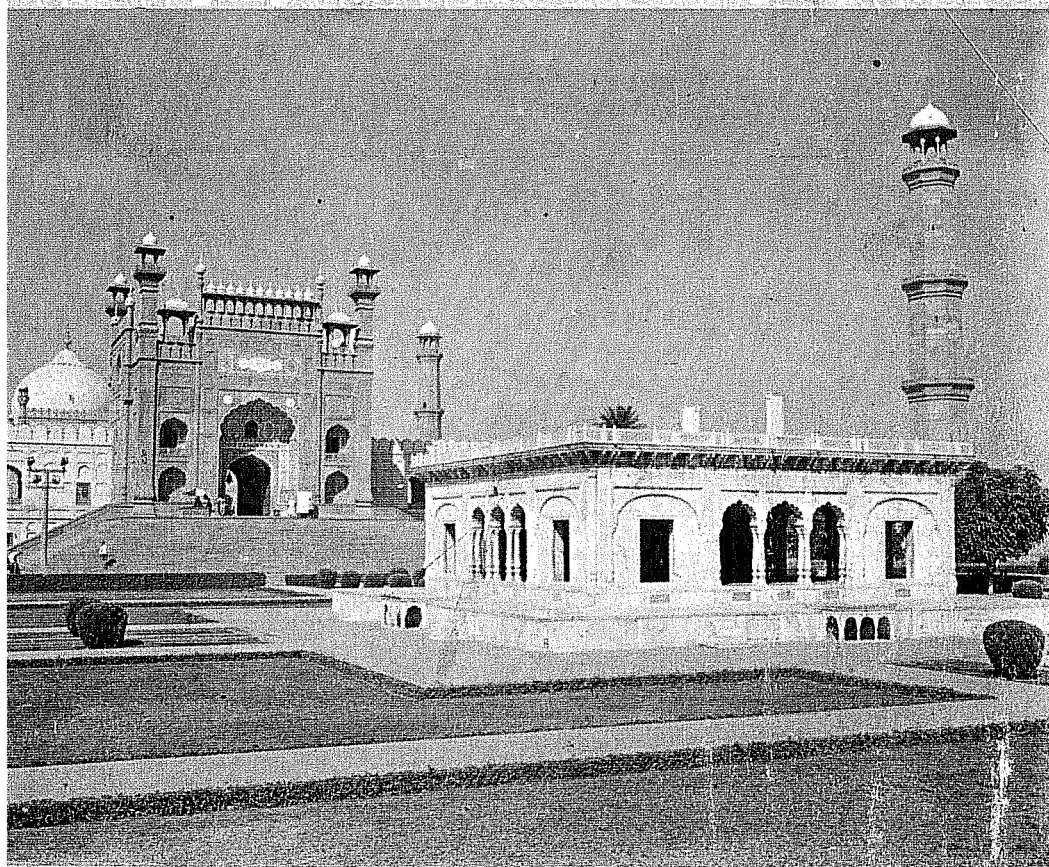


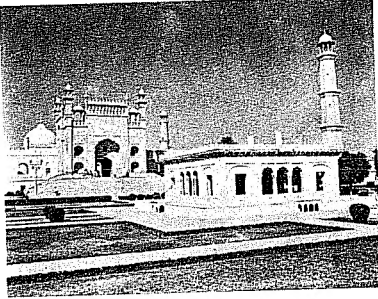
# الوعي الإسلامي

## إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة — العدد ١١١ — غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ — مارس ١٩٧٤



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ



مسجد شاه جيهان بمدينة شاتنا —

باكستان

### الـ ثـ مـ ن :

٥. فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥. فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليا	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعدن
٥. قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليا	مصر والسودان

## الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشر

العدد ١١١

غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ

مارس ١٩٧٤ م

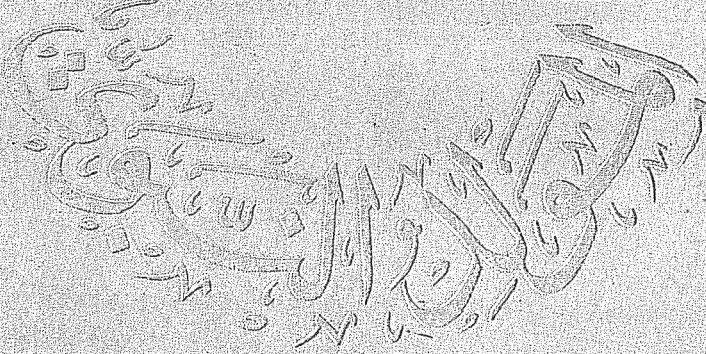
هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ  
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية  
والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية  
بالكويت في غرة كل شهر عربي  
الاشتراك السنوي للهيئات فقط  
أما الأفراد فيشتركون رأسا  
مع متعهد التوزيع كل في قطره

### عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي — وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية  
مستودع بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

## السؤال الكبير الثاني



### ونذكرى إعلان حقوق الإنسان..

منذ يضع سنوات دق الهاتف فكان المتكلم كبيرا مسئولاً في هيئة الأمم المتحدة من إحدى دول أمريكا اللاتينية ، قال : انه سمع سفير أندونيسيا بالأمس في خطاب القاه على أحد المحافل الدولية يسوق آية ذكر أنها من القرآن الكريم وفيها يخاطب الله عباده بأنه خلقهم جميعاً من أصل واحد وأنه لا فضل لأحد على آخر الا بالعمل الصالح ، ثم قال هذا المتحدث إنه حاول العثور على هذه الآية في النسخة القرآنية التي بيده ، وهي باللغة الإسبانية ترجمة عن الأصل العربي فلم يجدها ، فادركت أنها الآية التي تقول : (( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير )) فدلته على موضعها من الكتاب الكريم وذكرت له أنها الآية رقم ١٣ من السورة رقم ٤٩ ( سورة الحجرات ) ، فقلب صفحات الكتاب الذي بيده ، ثم صاح مسروراً وقال انه قد عثر عليها ، ثم صار يترجم ما يقرأه من الإسبانية الى الإنجليزية ليطمئننى على أنها الآية التي يطلبها ، وأبدى إعجابه من أن يشتمل هذا الكتاب الكريم الذي أوحى به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً على هذه التعاليم الإنسانية الجليلة قبل صدور اعلان حقوق الإنسان في العصر الحديث .

ذكرت ذلك الحادث في الشهور القليلة الماضية حيث احتفلت هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم معها بالعيد الفضي لاعلان حقوق الإنسان ، أعنى تلك الوثيقة التاريخية التي صاغتها هيئة الأمم ووافقت عليها وأوصت وصاة مؤكدة أن تعمل جميع الدول الأعضاء بمقتضى هذه الوثيقة ، وكان اعلانها في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ ، واعتبر اعلانها حجر زاوية في تاريخ



الانسانية لما اشتملت عليه من وصايا انسانية جلية ، والوثيقة — كما هو معلوم — تحتوى على ثلاثين مادة ، ولكنها كلها تدور حول مبدأ المساواة وكرامة الانسانية ، ومبدأ حرية الفرد ، وسائر موادها تدور حول هذين المبدأين أو ترجع إليهما .

وقبل مقدم تاريخ تلك الذكرى بأشهر ، اهتمت هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها الفنية المختلفة باعداد العدة للاحتفال بالذكرى ، فعقدت الاجتماعات وتبذلت المذكرات ونشرت المقالات ، وألقيت الاحاديث ، ولا نزال نقرأ وتصلنا المقالات والوثائق الخاصة بهذه المناسبة .

ثم ذكرنى بالحادث الذى سقته أول هذا المقال مقدم المولد النبى الشريف ، مولد الهدى والنور ، مولد اعلان الحقوق الانسانية اعلانا تاما كاملا شاملا صحيحا ، وجذبنى ذلك كله الى التأمل ومقارنة ما ورد بهذه الوثيقة وخاصة من حيث هذه المبادئ المذكورة ، وما جاء محمد بن عبد الله فى القرن السادس الميلادى ، فى زمن أهدرت فيه كرامة الفرد ، وفشا فيه الظلم والجهل والبغى والفساد ، ولفت نظرى الى ذلك بالأكثر ما ورد بالخطب والاحاديث والمناقشات والمقالات فى هذا الصدد ، اذ كان أكثرها نقدا لما عليه وضع الانسان الحالى ، وفشل الأمم فى تطبيق نصوص هذا الميثاق ، فقد ذكروا أن العالم لا يزال يعاني من ويلات الحروب أو من الخوف منها ، ولا تزال السجون مشحونة بالابرياء ، ويعامل أسرى الحرب معاملة وحشية غليظة ، فتخلع أظافرهم وتكوى جلودهم ويغمسون فى الماء أو يعلقون فى الهواء بعد طول الحرمان من النوم والطعام والشراب لإكراههم على الإدلاء بمعلومات فى صالح جلاديههم ، بل تعذب أطفالهم ويعتدى على حرهم أمام أعينهم من أجل ذلك ، وقالوا : لا يزال القوى يعتدى على الضعيف ، ولا تبالى الدول الكبرى بمصالح الدول الصغرى ، ولا تزال الانسانية تعاني من التفرقة العنصرية المريعة . الى غير ذلك مما يتناهى مع الكرامة الانسانية ويتعارض مع نص اعلان الحقوق الانسانية .

وهكذا كان تقييم المختصين الأثر اعلان حقوق الانسان سلبيا ، فلم يحقق هذا الاعلان ما توقع له الناس من نجاح ، فلم يغير وجه التاريخ ولم يسهم فى تقدم الانسانية شيئا يذكر .

كل هذا أحضر فى الذهن مزايا تعاليم الرسول وفضل هدى ديننا الحنيف ، وإذا كانت الأمم تهتم بتخليد عظمائها وتجدد ذكرى كفاحهم بالاحتفال بأعياد ميلادهم ، فالرسول الكريم — خير البشر وسيد الأنبياء وأفضل المصلحين — لأجدر بالخلود ، وتعاليمه وهديه أولى بالذاكرة والمراجعة ، وبين مزاياها وفضلها ، وخاصة فى مناسباتنا الدينية من مثل مولده الكريم الذى نحتفل به هذه الأيام .

لقد سبق هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلنا حقوق الانسان قبل أن تعلنها الوثيقة الحديثة عام ١٩٤٨ بقرون طويلة ، والواقع أن اعلان حقوق الانسان لم يأت بشيء لم ينطو عليه كتاب الله أو سنة رسوله ، ولقد رأينا كيف دهش المسئول الكبير بهيئة الأمم المتحدة عندما رأى

ان اعلان مبدأ المساواة والكرامة قد عبر عنه كتابنا الكريم بأعلى أسلوب وأبلغه قبل اعلان المساواة فى وثيقة حقوق الانسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، و اعلان المساواة بالوثيقة الحديثة الفاظ بدون روح وعبارات لا يصحبها الايمان ، أما ما ورد بالكتاب العزيز عن المساواة والكرامة فهى تعاليم مؤكدة من لدن الخالق المبدى .

يعبر الكتاب الكريم عن المساواة بوحدة الأصل ، أى كون مصدر الجميع واحدا ، ذكرا وأنثى ، ويكرر ذلك الكتاب العزيز بأسلوب آخر فيقول : **« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا »** ويقول : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »** ويقول : **« ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين »** ، ويحرم التمييز والفرقة فيقول : **« .. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** ويقول : **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برأدى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء »** ، ويقول الرسول الكريم : **« الناس سواسية كأسنان المشط »** .

أما مبدأ الكرامة الانسانية واحترام الفرد ذكرا كان أو أنثى ، فيتجلى فى جعل الله الانسان خليفة فى الارض ، وأمره الملائكة بالسجود لآدم ، وتفضيل بنى آدم على العالمين ، قال سبحانه : **« ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** ويقول : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »** ، وقال : **« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »** ، ويقول سبحانه : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »** ثم ان الاسلام حض على اكرام الضعيف ونهى عن الاهانة حتى حين اعطاء الصدقات فقال : **« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى »** ، كما حث على اكرام الأسير وعق الرقاب وجعل ذلك من أعظم الحسنات وكفارة عند ارتكاب بعض السيئات ، وحض الناس على أن يطعموا من تحت أيديهم مما يطعمون ويكسوه مما يكسون ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : **« اخوانكم خولكم »** .

ففرس الاسلام بتعاليمه الرشيدة مبدأ المساواة الانسانية وكرامة الفرد فى نفوس المسلمين حيث أعلن عن ذلك الخالق الذى يؤمنون به ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، لذلك يلتقى المسلم بأخيه المسلم وقد قدما من بلدين بينهما آلاف الأميال فلا يعنيه شكله ولا لونه وإنما يعنيه أنه يشاركه ايمانه بالله ورسوله ويشاركه الاعتقاد بمبدأ الوجود ومصير الوجود وما يتفرع عن ذلك من قيم ومثل : ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده هذه المبادئ تطبيقا واقعيا عمليا ، فكان الرسول نفسه — رغم عظيم فضله وارتفاع منزلته فوق العالمين — يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ورضى من الدنيا بالقليل ، وقال : **« أنا أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة »** ، وقال : **« سلمان منا آل البيت »** ، واختار عتيقا حبشيا ليكون مؤذنه ، ولو أطلقنا العنان لما أثر عن كبار الصحابة والراشدين فى هذا الصدد لطال الكلام وضاق بنا المقام .

فما جاء به الاسلام من المساواة والعدالة والكرامة الانسانية هى

مبادئ مشتقة من الإيمان بالله كما ذكرنا ، مبادئ صريحة صادقة فعالة ، ولا تعاني البيئة الإسلامية حتى اليوم — بالرغم مما حل بها من الفساد على مر الدهور — مما تعاني منه البيئة الغربية من مشاكل عنصرية عميقة المدى ، تنتكر في كثير من الأحيان للإنسانية ، وتفرق بين الأبيض والأسود والغربي والشرقي والرجل والمرأة ، كما تتجاهل كثيرا حق الفرد من الكرامة والمعاملة الحسنة العادلة .

أما مبدأ الحرية الفردية كما ورد باعلان حقوق الانسان فان الوثيقة لم تكفل شيئا لضمان تنفيذه ، وتركت فجوات واسعة ينفذ منها ذوو المصالح الجشعة والأغراض غير الشريفة ، ولم تصنها بسياج يحميها من عدوان النفعيين المنحليين وتوسعهم في تأويلها وتفسير مداها ، فترى الصهيونيين مثلا يبالغون في حرية الفرد وحقه في الهجرة التي نص عليها ( الاعلان ) للضغط على الحكومة الروسية للسماح لليهود من مواطنيها بالهجرة الى اسرائيل ليستعمروا ما يفتصبون من أرضنا العربية الإسلامية ظلما وعدوانا ، وهم في نفس الوقت يحرمون من هذا الحق مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوهم من بلادهم واغتصبوا أرضهم وديارهم ، كما يسيء الكثير من المسيطرين على الصحافة ودور النشر في الغرب استعمال هذا الحق بدعوى حرية الصحافة وحرية التعبير فيستبيحون الطعن والذم ، ويخوضون في حق من لا يتبع أهواءهم ، وينالون حتى من شخصيات الرسل والأنبياء الكرام ، كما أن الإباحيين يستغلون هذا الحق فيستخدمونه في نشر موادهم الفاتنة الخليعة داعين للفوضى والقضاء على الموروث من قيم ومبادئ خلقية ، فأصبح الاتصال الجنسي بين شخصين بالغين خارج الزواج أمرا عاديا في نظر هؤلاء ومن قبل فلسفتهم من ملايين ( المتنورين ) المنحليين ، وينعون على من ينقد ذلك أو يسميه ( بالزنا ) ويعتبرون ذلك رجعية فاسدة ! فتبسترت وسائل منع الحمل كي يتمتع الشباب والشابات دون أن تتعرض الفتاة لمشاق الحمل ومتاعبه ، ولا تتردد الأم في ذلك الجزء من العالم في حض بنتها غير المتزوجة على تناول حبوب منع الحمل ، وإذا حدث أن حملت الفتاة فان ذلك قد أصبح بحيث لا يضر سمعتها ، وأصبح اصطلاح ( أم غير متزوجة ) اصطلاحا مألوفا مستعملا — ومع هذا فهناك عيادات الاجهاض منتشرة في البلاد تقوم بهذه العملية بسهولة وسرعة وعلى حساب الدولة أحيانا ، وكثر الترويج لما يسمونه ( الزواج المفتوح ) الذي لا يلزم أحد الطرفين — أعني الزوج والزوجة — بقصر نشاطهما الجنسي عليهما بل يزعمون أنه ينبغي فتح الباب لكل منهما للاتصال بالأجنبي والأجنبية جنسيا للترويج والتغيير ، ومن العجيب أنهم يزعمون — وما أعجب ما يزعمون — أن هذا ادعى لدوام العلاقة الزوجية ، وبالتالي أنفع في الجو العائلي ، معاذ الله !

وحتى عبارة ( الشذوذ الخلقي ) يريدون محوها من القواميس ، ويزعمون أنه كما أن هناك أفرادا يؤثرون الاتصال الجنسي بأفراد من الجنس الآخر — وهم غالبية الشعوب — فهناك من يؤثر الاتصال الجنسي بفرد من نفس الجنس ذكرا أو أنثى ، ثم يزعمون ويؤكدون أن ذلك أمر عادي وخلقى

وطبيعى ولا يسوغ اعتباره شذوذاً أو خطأ ، ويزيدون فيقولون : إن القول بشيء من ذلك ظلم من الأغلبية للأقلية ، ونتيجة لأعمال الإباحيين كثر نشر الكتب والمجلات الخليعة وتعددت الأفلام الفاسدة الضارة المكشوفة المستهترة ، وأضحى لمن نسميهم بذوى الشذوذ الخلقى نواد وجمعيات ومؤسسات دون حياء ولا خجل ، حدث كل ذلك باسم حرية الرأي وحرية التعبير مع مخالفة هذا كثيراً لبدأ الحرية الصحيح كما يخالف كذلك — فيما نرى — مبدأ الكرامة الإنسانية .

جاء الهدى المحمدى بمبدأ حرية الفرد ولكنه صان هذه الحرية وكفلها بها يضمن صالح الفرد والجماعة ويرضى الله تعالى ، يقول سبحانه : « **أنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** » ويقول : « **وهديناه النجدين** » ، ويقول : « **لا إكراه فى الدين** » ويقول : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » ويقول : « **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً** » ، ورفع الإسلام الحظر عن تورط فى محظور مكرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولكن الإسلام اذ يكفل الحرية الشخصية فإنه يرعاها ويصونها ويصون صالح الفرد والجماعة ، فهى حرية فيما ليس بضار أو محظور ، فلا حرية فى العدوان على الحقوق والأعراض أو انتهاك حرمت الله ، ولا يسوغ نشر الفساد أو الاعتداء على القيم بحجة حرية الصحافة أو حرية التعبير ، والمسلم اذ يستغل حقه من الحرية التى كفلها له دينه يعرف أنه مسئول أمام الله وأمام ضميره ، محاسب على كل أعماله ، وهو يعرف ويؤمن بأن الله تعالى مطلع على كل ما يعمل ويمسك ما خفى فى الصدور ، فالحرية ليست قاصرة على المحظوظين بالسلطان أو النفوذ أو من يملكون دور النشر أو الصحافة ، أو على بعض الأجناس الإنسانية التى تدعى لنفسها مزية على غيرها ، بل هى حرية يتساوى فيها الكبير والصغير والغنى والفقر ، والقوى والضعيف ، وهى حرية للإنسانية عامة وفى صالح الإنسانية كلها ، ثم هى محدودة بحدود من الإيمان وعمل الضمير ، لا بحدود ناشئة عن ضغط وإرهاب ، وهى حرية ذات مغزى وروح تعمل فى السر والعلن والظاهر والباطن ، لا حرية قانونية جافة تحسب حساب البوليس والقضاء وضغط الراى العام فتستبيح ما تشاء فى غيبة البوليس وغفلة أعين الناس .

فحقوق الإنسان كفلها الإسلام على خير وجه ، وكان محمد بن عبد الله الذى نحتفل هذه الايام بذكرى مولده ، معلنها ، والداعى اليها ، وحامل لوائها ، والمبشر بها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

**الدكتور : محمد عبد الرؤوف**

# المختلف الحضارى بكين المسلمين

للدكتور محمد البهى

\* الحضارة هى الانتاج البشرى : الفكرى ، والوجدانى ، والارادى ، لزيادة امكانيات الانسان فى سعيه فى الحياة ، وفى تغلبه على مشاق العيش فيها ، ولرفع مستوى انسانيته فى تقدير ذاته ، وفى علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والحضارة بهذا المفهوم لها جانبان : جانب مادى . . وجانب انسانى : فالجانب الحضارى المادى هو ما يتمثل فى تقدم البحوث العلمية التجريبية وفى مدى تطبيقها فى المجالات الصناعية المختلفة . أى يتمثل فى تطور العلوم الطبيعية . وعلى وجه أخص فى علوم الحيوان — والنبات — والمعادن — والكيمياء ، وفى قيام الصناعات التى تؤسس على نظرياتها المتجددة ، لخدمة الانسان فى المرافق العديدة : فى السكن ، والنقل ، وفى وسائل التعليم ، ووسائل الوقاية من الأمراض أو المعالجة منها .

والجانب الحضارى الانسانى هو ما يتمثل فى المستوى السلوكى الرفيع وفى حسن العلاقة بين الأفراد التى تقوم تلك العلاقة على الاحساس المشترك بالقيم الانسانية ، متجاوزة الاحساس بعلاقة الدم ، والأسرة ، والقبيلة ، والعرق والعنصر .

وتوضع الحضارة — عند توضيحها — فى مقابل البداءة . وهى الفطرة الاولى للانسان قبل تهذيب طبيعته . ولهذه البداءة مظاهر فى أسلوب الحياة ، وفى السلوك ، وفى المعاملة ، تتم جميعها عن دفع أنانى يسيطر فى الانسان . فحياة البدائى لا تقوم على بساطة الوسائل المادية فحسب فى السكن والنقل ،



والمعيشة . بل كذلك استخدامه لهذه الوسائل يدل على تشبثه بالبقاء وحده ،  
فى غير رعاية للآخرين معه ، وسلوكه يصدر فيه عن ارتباط وثيق بالذات ،  
دون ما سواها . ومعاملته للآخرين تبعد كل رعاية لحق : فى وجودهم وفى  
حياتهم المشتركة معه ، وان كانوا ذوى قربى قريبة له .

وهكذا : البداوة والحضارة مفهومان يستخدمهما الانسان : مرة للتعبير  
عن وقوفه عند طبيعته ، مغلفة وغير مشذبة ، وعند خصائص هذه الطبيعة  
فى المعيشة ، والسلوك ، والمعاملة . ومرة أخرى للتعبير عن تجاوز هذا  
الوضع المغلف الى وضع التفتح والتطور والتحرك نحو ما يزيد فى طاقاته ،  
ويعينه على اجتياز الصعاب فى الحياة ، ويوثق أوامر القربى فى الانسانية  
بينه وبين الآخرين معه فى المجتمع .

وكما هما مفهومان ، هما أيضا مرحلتان فى تاريخ الانسان ، وتاريخ  
مجتمعه . فهناك انسان بدائى ، وآخر حضارى . وهناك مجتمع بدائى ،  
ومجتمع حضارى .

✽ وجانب الحضارة — وهما الجانب المادى ، والجانب الانسانى — ليسا  
متساويين . أى ليس بلازم اذا وجد أحدهما ان يوجد الآخر حتما . فالتقدم  
الحضارى المادى هو تقدم فكر ، وعلم ، وتجربة ، وصناعة . والتقدم  
الحضارى الانسانى هو تقدم وجدان ، وعمل ارادى ، وخلق وسلوك . وهنا  
قد يوجد انسان أو يوجد مجتمع ، متقدم فى الحضارة المادية ، وهو بدائى  
أو أنانى فى السلوك والمعاملة . كما قد يوجد العكس . وهو انسان أو مجتمع  
متقدم فى السلوك والمعاملة ، أى غير أنانى فيهما ، وهو مع ذلك غير صاحب  
حضارة مادية ، أى غير صاحب حضارة علمية تجريبية ، وصناعية . وحضارته  
فى السلوك والمعاملة حضارة انسانية ، يشارك بانسانيته الآخرين معه فى  
مجتمعه : يحسن ولا يسيء .. وينفع ولا يضر .. ويطمئن ولا يرهب ...  
ويتحمل ولا يندفع .

ولأن الجانب الحضارى المادى يلفت النظر أكثر من الجانب الآخر  
الانسانى : يقع كثيرون ممن يجذبهم التقدم الصناعى أو التكنولوجى فى حياة  
المجتمعات المتطورة صناعيا تحت اعتبار : ان التقدم الحضارى المادى يستتبع  
كنتيجة له مسلمة : تقدما حضاريا فى مستوى الانسانية .. وأن التخلف فى  
الحضارة المادية والصناعية يلازمه كذلك كذلك : التخلف فى الحضارة الانسانية  
أو تلازمه البدائية . ويستخلصون من ذلك : أن المجتمع أو الانسان الفرد  
صاحب الحضارة الصناعية هو مجتمع أو انسان ذو تقدم أيضا فى المستوى  
السلوكى الانسانى ، وبالتالي يفضل ذلك الانسان أو المجتمع الذى لم تكن له  
هذه الحضارة المادية . وازاء ما يستخلص على هذا النحو : تكون الريادة  
لصاحب الحضارة المادية ، وتكون التبعية أو التقليد والمحاكاة له : من فاقده  
هذه الحضارة .

وينسى هؤلاء الذين يقعون تحت اغراء التقدم الصناعى التكنولوجى ،  
ويستخلصون بسبب وقوعهم تحت اغرائه منطقا حزبيا : أن مقياس الحضارة  
الانسانية هو فى مدى البعد عن الأنانية فى السلوك ، والمعاملة : نحو الذات ،  
أو نحو الآخرين . والمنطق المجرى عن التأثير بالاغراء المادى أو بالانجذاب الى

عامل غير موضوعي : ان صاحب الحضارة المادية هو صاحب ريادة حقا في هذا الجانب من غير شك يجب أن يحاكي ويقلد فيه ممن هو متخلف فيه . وهو أيضا يمكن أن يكون صاحب ريادة في الجانب الحضاري الانساني اذا توفر له بالفعل مستوى الحضارة الانسانية في البعد عن الانانية .

ولكن اذا كان هو يستخدم تفوقه في الحضارة المادية : الصناعية والتكنولوجية في التخريب والتدمير وسفك الدماء ، أو في الارهاب وقهر الآخرين واكراههم على ما لا يقبلونه مختارين وفي مشيئة حرة . . أو يستخدم هذا التفوق الحضاري الصناعي في استغلال الآخرين ، ويصبح بهذا التفوق ذا نزعة استعبادية ، لا يعرف الحق الا من طريق القوة المادية وحدها ، ولا يعترف للآخرين الضعفاء بحق الحياة في وجود مشترك ، فانه عندئذ يكون متخلفا في الجانب الحضاري الانساني ، رغم تقدمه في الجانب الآخر الصناعي وبالتالي ليست لديه صلاحية : أن يكون رائدا ومتبوعا في الجانب الانساني ، الذي هو ثمرة الوجدان ، والعمل الارادي ، وحسن الخلق والسلوك .

ولكن كذلك : اذا كانت بعض المجتمعات الحضارية حضارة صناعية تبيح ممارسة اللواط في الوقت الحاضر ويتبنى القانون حماية هذا الشذوذ الجنسي بين شباب الجامعات في نواديهم الجامعية (١) . . أو يبيح تبادل الزوجات (٢) بين الأزواج في النوادي أو في المساكن الخاصة . . أو ينهى عهد الزواج وتكوين الأسرة على النحو المتعارف ويستعيز عن الزوج بأزواج ، وينسب الابن الى أمه بعد ما اختلطت الأنساب وضاعت بين الرجال العديدين : فان هذا البعض من المجتمعات الحضارية الصناعية يفقد الصلاحية في المستوى الحضاري الانساني ويجعله مساوقا للانسان البدائي في الغابات ، الذي لا يعرف ستر عورته ، ولا تخير المرأة التي يعاشرها .

✽ والمسلمون في حاضرهم يقلدون في خطواتهم الحضارية أصحاب التفوق في الحضارة المادية : العلمية والتكنولوجية . يقلدونهم في مصانعهم . يقلدونهم في أسلوب حياتهم . يقلدونهم في سلوكهم نحو ذواتهم ، ونحو الآخرين معهم في مجتمعاتهم . أي أنهم يقلدونهم في جانبي الحضارة : المادية الصناعية ، والانسانية السلوكية .

وتقليدهم للمتفوقين في الحضارة الصناعية اذن هو تقليد في تفكيرهم ، وفي علمهم التجريبي ، وفي وجدانهم ، وأخيرا في عملهم الارادي وتصرفاتهم . ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي : ان هؤلاء اذا كانوا مصطلحين ونفعيين أو « برجماتيين » . . واذا كانوا انتهازيين أو استغلاليين . . واذا كانوا استعماريين أو قراصنة : فان المصلحة ، والانتهازية ، والقرصنة لا ينكرها أولئك الذين يقلدونهم تقليدا مطلقا ، لأن هذه الاتجاهات هي اتجاهات سلوكية تقوم على ايثار الذات ، والانانية ، وعلى عدم رعاية حرمان الآخرين .

ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي ، العلمي والصناعي ، من المسلمين : هو أن هؤلاء المسلمين اذا أفادهم التقليد في التقدم الصناعي والعلمي لزيادة قدراتهم على اجتياز المصاعب والمشاق في حياتهم ومعيشتهم ، فانه سيضرهم حتما : تقليدهم في الجانب السلوكي

لأصحاب هذا التقدم . لأن المسلمين في حاضرتهم يغلب عليهم الميل الأناني بحكم الضعف ، والفاقة رغم ثرواتهم العديدة المصادر — وهو ميل غير إسلامي أو هو ضد الإسلام — في روابط بعضهم مع بعض . وهم في نهضتهم وفي بعثهم للحياة الكريمة من جديد في حاجة إلى روح المشاركة والجماعة بينهم ، كي تكون لهم قدرة يدفعون بها التخلّف في الجانب الحضاري المادي ذاته . فإذا بقي الميل الأناني مسيطرًا بينهم بجانب ضعف المستوى الحضاري الصناعي والعلمي لديهم فسيظلون ضعفاء . . ويظلون متخلفين في الحضارة بمفهومها العلمي ، والإنساني .

✽ والمسلمون لم يكونوا بدائيين عندما كونوا مجتمعهم الإنساني . وإنما كانوا أصحاب حضارة إنسانية ، ثم أصبحوا — بعد حين — بالإضافة إلى ذلك : أصحاب حضارة فكرية ، وعلمية ، وإن لم يصبحوا بعد فيما مضى أصحاب حضارة تكنولوجية بالمفهوم المعاصر .

كانوا أصحاب حضارة إنسانية . لأن تكوين المجتمع الإسلامي ، ونقل أفراداه عن طريق الدعوة إلى الإسلام : من المجتمع الجاهلي ، وهو المجتمع المادي الأناني . . إلى مجتمع إنساني صاحب روابط إنسانية ، وصاحب مشاركة جماعية : هو في ذاته تحول حضاري وتحرك نحو الجانب الحضاري الإنساني . فدعوة الإسلام هي دعوة عن التخلي عن الأنانية ومظاهرها المختلفة التي تقوم على أساس منها : المجتمع المادي الأناني أو الجاهلي . . هي دعوة في الوقت نفسه إلى قيام الروابط الإنسانية على أساس من القيم الإنسانية العليا وحدها . وهي تلك القيم التي تكون المستوى المفاضل للإنسانية ، التي من بينها التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتي من أجلها كان الميل الاجتماعي لدى الإنسان في طبيعته ، ولتحقيقها كان المجتمع الإنساني في وجوده .

فالمجتمع الإنساني ليس مجتمع عدد : في كثرة أو قلة . وإنما هو مجتمع قيم إنسانية يترابط الأفراد فيه على أساس منها . ومن أجل هذا الهدف في حياة الإنسان اختلف الإنسان عن الحيوان ، والنبات ، مع أن هناك جامعاً مشتركاً بين الثلاثة ، وهو النمو الكمي والمادي .

والقرآن يشير إلى هذا الجامع المشترك في بعض آياته . فيقول تعالى : **« فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذروكم فيه »** ( أي يكثركم وينميكم ) **« الشورى — ١١ »** . . فيجعل هدف الزوجية من الذكورة والأنوثة في خلق الإنسان والحيوان هو الكثرة والنمو المادي . ويقول أيضا : **« سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون »** ( يس — ٣٦ ) . . فيشير إلى عامل الكثرة والنمو المشترك بين النبات ، والإنسان ، وما لا يعلمه الإنسان مما يتكاثر في ملكوته سبحانه وتعالى .

ثم يفرد القرآن : الإنسان بهدف آخر وراء النمو والتكاثر ، وأسمى منه . وهو هدف المجتمع الإنساني من تحقيق القيم العليا في روابط الأفراد بين بعضهم بعضا . فيقول جلّت قدرته : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** ( الروم — ٢١ ) . . فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

يتفكرون » ( الروم — ٢١ ) . . فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

والمودة ، والرحمة ، فى العلاقات بين الأفراد . وهذه القيم العليا الثلاث تلتقى عندها جميع القيم الأخرى . فهى المصّب الذى تصب فيه كل قيمة عليا انسانية . فالتعاون ، والتضامن ، والكرامة البشرية ، والحرية الانسانية ، والاخوة .. وغيرها اذا تحققت تحقق الاطمئنان ، وتحققت المودة ، وتحققت الرحمة حتما بين الافراد .

والقرآن يفرد هذا الهدف الانسانى للمجتمع الانسانى ، بعد ان افرد ايضا بتعبير خاص الغاية المشتركة فى خلق الانسان ، بينه وبين الحيوان ، والنبات ، وهى غاية التكاثر والنمو ، فى قوله : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** » ( النحل ٧٢ ) . . . حتى لا تلتبس احدى الغايتين بالأخرى ، وحتى اذا ما حقق الانسان غاية النمو والتكاثر وحدها ، دون الغاية الأخرى : يبقى الانسان فى الدائرة المشتركة بينه وبين الحيوان والنبات — وحدها . وعندئذ لا يتميز عنهما بميزته الانسانية ، وهى ميزة اجتماعية ، أى ميزة تكوين المجتمع وتحقيق أهدافه .

فتكوين المجتمع الاسلامى القائم على توجيه القرآن هو تكوين تصحبه ظواهر الحضارة فى جانبها الانسانى . والجاهليون أو الماديون الذين انتقلوا الى المجتمع الاسلامى يومذاك ، استجابة للدعوة الاسلامية ، انتقلوا اليه مؤمنين بهدفة . وهو تحقيق القيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض . وهى قيم حضارية ، تمثل الجانب الحضارى الانسانى .

فدعوة الاسلام هى دعوة الى تهذيب الوجدان فى الانسان وجعله فى خدمة التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتماسك . ودعوة الى تنمية العمل الارادى وجعله فى خدمة السلوك السئوى ، والسلوك الانسانى الكريم ، بعيدا عن الاغراء بالمتع المادية والوقوع تحت ما يشتهى منها .

ان المجتمع المادى يكون مجتمعا ذا طابع أسرى ، أو قبلى ، أو عنصرى ، لان الرباط بين افراده آنئذ هو رباط مادى ينبثق من الأسرة ، أو القبيلة ، أو العنصر والعرق . والمجتمع الانسانى هو ما يسمو الترابط فيه الى مستوى القيم الانسانية وحدها . والقرآن يمتن على المؤمنين به فى قوله تعالى : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فالق بين قلوبكم فأصبحتن بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** » ( آل عمران ١٠١ — ١٠٣ ) : يمتن عليهم بأنه نقلهم بايمانهم بالله وحده وبهدايته فى كتابه من دائرة القبيلة التى كانت مثارا للفرقة والخصومة — وهى دائرة مادية — الى محيط الانسانية وقيمتها ، وهو محيط يشمل الناس جميعا . وبذلك تتعد الفرقة فيه ، كما تتعد الخصومة ، ومحيط الانسانية محيط غير مادى . لأنه فوق الروابط التى تقوم على أساسها التكتلات المحدودة بالمكان ، أو العنصر . ومن هنا كانت الدعوة الاسلامية دعوة الى الانسانية ، فوق الروابط المادية .

والمجتمع الذى يدعو اليه الاسلام هو مجتمع انسانى يقوم اذن على الروابط الانسانية وحدها . والروابط الانسانية وما يحققها : جانب حضارى للانسان ، يقابل الجانب الآخر المادى له ، وهو الجانب العلمى والصناعى .

وهذا الجانب الحضارى الانسانى أوصول المسلمين فيما بعد الى أن يكونوا أصحاب حضارة علمية وفكرية يوم نقدوا الفكر الاغريقى فى وثنيته ، فى الوقت الذى أضافوا فيه الى معارف الاغريق الطبيعية والرياضية ، ما جعل من الجانبين - الاغريقى ، والاسلامى - مصدرا للبعث والنهضة العلمية فى أوربا ، تلك النهضة التى أتت بهذا التقدم الصناعى والعلمى المتسوق : للمجتمعات الغربية المتطورة فى حاضر المسلمين اليوم .

✽ ومسلمو اليوم انفكوا عن الارتباط بهدف المجتمع الاسلامى ، فى دائرة التعاون ، والتضامن ، والتآخى . وانحدروا الى خصيصية المجتمع المادى ، أو المجتمع الجاهلى . وهى خصيصية الأنانية والحركة فى دائرة الذات وحدها وآثروا الترابط على أساس المنفعة المتبادلة . . أو أساس العرق والعنصرية . . أو أساس نظام الحكم الدخيل المشترك . . أو أساس وحدة التبعية للأجنى عنهم . وبذلك يعيشون فى تخلف فى الجانب الحضارى الانسانى ، كما تعيش الآن لفترة ما : تلك المجتمعات المادية المتطورة تطورا صناعيا فى دائرة الذات ، بعيدة عن المستوى الانسانى الحضارى الذى يتم على أساس من القيم الانسانية العليا .

وإذا كان تخلف المسلمين فى الجانب الحضارى المادى أو الجانب العلمى والتكنولوجى يمكن أن يتجاوزوه بتقليدهم للمجتمعات الصناعية العلمية ، ونقلهم من تجاربها ، ومن منهاجها وسبلها فى البحث والتطبيق : فتخلفهم فى الجانب الحضارى الانسانى لا ينفعهم فى تخطيه : اتباع مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، كما ينصح المجددون بينهم . . ولا استيراد نظام مادى يقوم على أساسه الحكم ، كما يروجه فيهم بعض المشتغلين بالسياسة . كما لا يعوض التخلف فى هذا الجانب لديهم : جدهم - لوجدوا - فى نقل الحضارة الصناعية العلمية ، والتوسع فى هذا النقل الى أبعد حد . لأن الصناعة إذا كانت ركنا من أركان الحضارة ، فمستوى الانسان هو الركن الآخر أو الأول فيها . وطالما لا يكون هو متحضرا فى مستواه الانسانى فلا ضمان لبقاء حضارته الصناعية والعلمية . وبقاء المجتمعات الصناعية العلمية المعاصرة الآن هو بقاء مؤقت ، بعد ما انحدرت الى المادية وسيطرت مظاهر الجاهلية فى المستوى الانسانى على علاقات بعضها ببعض ، وعلى الروابط بين الأفراد فيها .

وبعد حين - طال الزمن أو قصر - ستصطدم هذه المجتمعات المعاصرة بعضها ببعض . لأن المنافع المادية ستفرق حتما بينها . كما اصطدمت فى الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية . وقد كان التنازع على المواد الأولية أو الحصول على قسط منها هو السبب الحقيقى الذى أدى اليهما . وسياسة : « الوفاق » فى الوقت الراهن هى سياسة مصطنعة ، وهى سياسة مؤقتة كذلك . . هى أشبه بهدنة للتمكن من الاستعداد للحرب الثالثة القادمة . وهى حرب لا مفر منها : اليوم . . أو غدا .

✽ والمسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة إذا أرادوا حقا اجتياز التخلف الحضارى : الصناعى العلمى ، والانسانى ، معا : يجب أن يسلكوا نفس التجربة التى خططت لها الدعوة الاسلامية . أى يجب أن ينتقلوا من الوضع الجاهلى أو الوضع المادى الأنانى . . الى الوضع الانسانى . يجب أن تقوم



الروابط بينهم على أساس من الأخوة فى الإيمان بالله وحده .. وأن يبتعدوا عن الانحراف فى استغلال المال وبالأخص عن الربا .. وأن يجعلوا ملكية المال الخاصة سبيلا الى المنفعة العامة ، ينتفع به المالك وغير المالك له من أصحاب الحاجة على السواء ، دون أن يقصروا منفعته على المالك وحده فيمعن فى الترف ، بينما تأخذ الحاجة برقاب غير المالكين له .. وأن يتجنبوا الجرائم الاجتماعية ، وهى جرائم الاعتداء على الأعراض ، والأموال ، والنفوس .. وأن يوفرُوا الكرامة البشرية والاعتبار البشرى للضعفاء بينهم .. الى غير ذلك مما تخطه الدعوة الاسلامية فى منهج تطوير المجتمع (٣) .

فالمسلمون المعاصرون فى حاجة الى نقل أنفسهم من وضع الجاهليين الانانيين .. الى وضع الانسانيين السذيين يستهدفون تحقيق القيم العليا الانسانية فى سلوكهم ، ومعاملاتهم ، ومواقفهم ، وفى ترابطهم : قبل نقلهم المصانع والتجارب العلمية الطبيعية ، أو معها على الأقل ، حتى يمكنهم أن يسخرُوا طاقات المصانع ونتائج التجارب العلمية فى سبيل قوتهم وبقائهم .. وحتى يمكنهم بالتالى . أن يضيفُوا الى الصناعة والتجارب العلمية جديدا اليها اذا استوعبوها ، كما صنع أسلافهم من قبل ، يوم أن أضافُوا الى الفكر الاغريقى : فكرا اسلاميا جديدا ، أعطاه الصلاحية لأن يكون مصدر النهضة الأوربية الحديثة ، ثم المعاصرة .

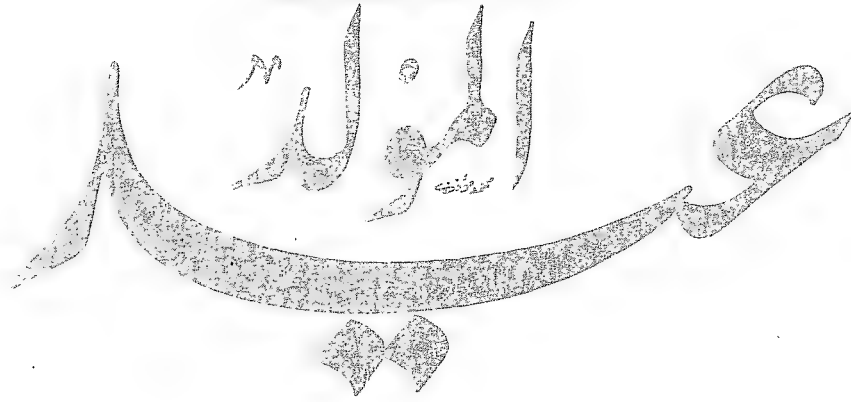
ولعل التحرك الإسلامى الحاضر ، نحو تأسيس بنك اسلامى .. ومشروعات للتنمية فى البلاد الاسلامية .. ونحو مؤتمر لوزراء الاقتصاد فى هذه البلاد .. ونحو مؤتمر قمة اسلامى لبعث التضامن الإسلامى كجزء فى السياسة الاسلامية المعاصرة : يكون تعبيرا عن الرغبة الاكيدة نحو الانتقال الى الوضع الإسلامى ، كما تنتشده دعوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام . ولعل ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم صاحب الاعجاز بأمينته ، وبموضوعية كتابه : تثير من عام الى عام وعيا أقوى نحو خروج المسلمين من تخلفهم الحاضر الى المستوى الحضارى الانسانى ، فالمستوى الصناعى العلمى فالحياة الانسانية الكريمة التى تستمر فيها الآلة والعلم لخدمة الانسان ، وليس الانسان للآلة وللتجارب العلمية .

(١) حكم القاضى الاتحادى Huge Bownes بولاية New Hamp Chire من الولايات الامريكية فى القضية التى رفعتها منظمة طلاب المتعة ضد الجامعة هناك بأن مجموعة الطلاب التى تمارس متعة اللواط لها الحقوق الكاملة فى ممارسة هذه المتعة فى منطقة الجامعة ، طبقا للتعديل الاول الرابع عشر . ونشر هذا الحكم فى الصفحة الثالثة فى عدد ٢٨/٣٠٧ من صحيفة Herald Tribune بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ .

(٢) كما هو شائع الآن فى المجتمعات الغربية المادية .

(٣) كتاب منهج القرآن فى تطوير المجتمع - وهو من مؤلفاتنا ، طبع دار الفكر ببيروت - يحاول توضيح نقل المجتمع المادى الى مجتمع اسلامى أو انسانى وتحديد المراحل التى تبتدىء بالتنديد بالظواهر المادية فى المجتمع المادى .. حتى مرحلة الامر بما يحقق المستوى الانسانى للفرد والمجتمع .

# مَنْ عَيْدُ الْهَجْرَةِ إِلَى



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

لا شيء .. لقد أقبل اليوم ومسر  
كما يمر أي آخر دون أن يابه به أحد .  
ولقد طلعت شمسُه ، ثم ارتفعت ، ثم  
استوت في قبة السماء ، ثم دلغت إلى  
مغربها وغابت فيه ، وليس في الناس  
من يحفل بها ، أو يلتفت إلى عظيم ما  
تحمله من تاريخ ، أو يستهدي  
بشماعها إلى غابر مجد لهذه الأمة  
سجدت له الدنيا كلها ذات يوم !! ..  
وهكذا دخل اليوم الأول من عام  
هجري جديد ، دخول اليتيم إلى دار  
لا عشيرة له فيها ولا أهل . ولكنه  
هنا يتيم بين أهله ، وغريب بين  
قومه وعشيرته .  
وقبل ذلك بشهر أو أقل ، دخلت

يوم الخميس ١ محرم عام ١٣٩٤  
كان يوما ثقيلا ينوء بحمل تاريخ كبير  
من أمجاد هذه الأمة .

يوم يحمل ينبوع وجودها ، وسر  
أمجادها ، ومبعث عزتها ، وروح  
وحدتها ! ..

كان يوما ارتسم على شمسِه الباب  
العظيم الذي دخلت منه هذه الأمة إلى  
التاريخ ثم تبوأ عرشه ، وقد كانت  
قبل ذلك ملقاة على هامشه ، شاردة  
وراء سورِه ! .. ذلك لأنه كان يوم  
الهجرة ١ ..

فكيف استقبله المسلمون عندنا ؟ ..  
وكيف احتفلوا به ، وكيف أكرموا  
مقدمه ؟

أعجاذكم ، ومنفذ سلطانكم —  
فتمرضوا عنه هذا الاعراض وتنسوه  
هذا النسيان ؟

أفمن الحتم عليكم — وقد فرغتم  
أنفسكم لوظيفة التقليد — أن لا تعرفوا  
لعمكم الهجرى معناه وأن لا تؤدوه  
حقه ، الا بعد أن يسبقكم الى ذلك  
أولئك الأسياد ، فيحتفلوا به لكم  
ويؤدوا حقوقه عنكم ، فتفعلوا مثله  
بدوركم تقليدا ، وتنهجوا نهجهم  
محاكاة واتباعا ؟ ..

أم هل من الحتم اذا قام الخطباء  
فى مساجدهم يذكرون بهذا اليوم  
وخطورته وينبهون الناس والمسؤولين  
الى حقوق هذا اليوم والقيام بواجباته  
أن يظهر من إعراض الناس عنهم ما  
يصبح تكذيبا لهذا الحق ، وعقوبا  
لهذا اليوم ، وكفرانا لفضله وجميل  
أباده ؟!

يا هؤلاء الناس ! .. من أنتم ، بل  
ما أنتم لولا الهجرة ؟!

أى اسم كان يذكر لكم فى العالم ،  
أم أى وطن كان يحويكم ، أم أى أرض  
كانت تقلكم أم أى حضارة كانت تنسب  
اليكم ، لو لم تكن الهجرة ؟!

هل كنتم ترمفون اسم الشام التى  
تفخرون بأجادهما ، أو العراق التى  
تتباهون بحضارتها أو مصر التى  
تعتزون بتراتها ، بل هل كانت لكم  
فلسطين تذودون عنها ، أو ثروة  
تخيفون العالم بسلاحها لو لم يبعث  
فيكم هذا النبى الأمى القرشى ، ولو  
لم ينفذ أمر ربه فيهاجر الأرض فى  
سبيل المبدأ ، ويترك الوطن فى سبيل  
العقيدة ، ولو لم يجعل الله له من  
أرض هجرته ( المدينة ) منطلقا الى  
شرق العالم وغربه وشماله  
وجنوبه ؟!

ماذا تقولون غدا لعلام الغيوب ،  
اذا أخذكم بجزيرة هذا النكران ، ثم

أجرأى الكنائس واحتفالاتها بيمصوت  
المسلمين كلهم ، وسمعوا ذلك كله  
طوعا أو كرها ! .. وأزينت الاسواق  
وزخرفت الحوانيت والمحال التجارية  
بالاضواء الملونة واشججار  
( الكريسمس ) وأغرقت واجهاتها  
بالقطن الذى صيغت منه عبارات ،  
وشكلت به شعارات ، تماها كما هو  
الشأن فى أى سوق من أسواق  
أوروبا ! .. وتجلت هذه الصورة  
ذاتها لا فى الأندية والملاهى العامة  
فقط ، بل تجاوزتها الى داخل كثير  
من البيوتات الاسلامية العريقة ! ..  
حيث احتفلت الأسر وتجمع أفرادها  
— على الطريقة الأوروبية ذاتها —  
فى سهر صاخب الى مطلع الفجر ..  
كل ذلك ، احتفالا بقدوم عام  
ميلادى جديد ! ..

ويأتى بعد ذلك يوم الهجرة ، بكل  
ما يحمله من ذكريات ، وبكل ما سجل  
فيه من تاريخ وعز ، فلا يرتفع له  
شمار ، ولا تبتهج به دار ، ولا تحس  
به فى سوق ، ولا تسمع عنه فى  
أذاعة أو نحوها !! ..

الا يا حسرتا على الأمة التى لم  
يكن يعرف عز الأرض الا بها ،  
فأصبحت وذل الأرض لا يعرف الا  
بها . أمة لا تقاسى الهوان ولكن  
تتعشقه ، ولا تعاني من الذل بل  
تستريح اليه ، ولا تبلى بالضيم وانما  
ترحب به ! ..

يا هؤلاء الناس ! .. ما الذى  
نفعم مما يفعله المستعمرون فى  
افتتاحات أعوامهم الميلادية فتقلدوهم  
فى ذلك أتم تقليد وتسبقوهم فى  
الابتهاج بها والصخب من حولها ،  
وصبح بيوتكم وأذاعتكم بشعاراتها  
وايحائها ؟ .. وما الذى ضرركم من  
تاريخكم ورأس عمكم الهجرى —  
وانما هو عنوان وجودكم ، ومسرح

أخذكم بجريرة تقليد لا فائدة فيه  
وإتباع لا حكمة من ورائها ؟ ..  
أولادكم يا مسلمون .. يستيقظون  
من طفولتهم الصغرى على الطنين  
والرنين اللذين تعج بهما ليلة رأس  
السنة الميلادية ، يرتضعون منكم لبن  
عاداتها وتقاليدها ، وتفيض آذانهم  
بأحاديث المعلقين من أفراد الأسرة  
وغيرهم على نهاية العام الماضى ..  
وبداية العام الجديد ، والتقاليع  
المستوردة لتوديع ذاك واستقبال  
هذا ! .. حتى إذا بلغ الطفل أشده  
استحكمت الصورة فى أغوار نفسه  
وانصبغ بها عقلا وطبعها ووجدانها ،  
وتهيأ له — مما غذى به — أن أيام  
السنة ان هى الا دائرة مغلقة  
متناسكة ، لا ينتهى ذيلها الا عند  
رأسها الوحيد : أول كانون الثانى  
حيث رأس السنة الميلادية ! ..  
أما الهجرة والحديث عنها ، فكلام  
كالطيف كان يردده الاجداد .. وأما  
مكانها من دائرة العام وإيامه ، فقد  
عفى عليه الصدا والقدم ، ولم يبق منه  
الا رمز كالظل ، وأشبه ما يكون  
بشارة على قبر مهجور ربما ذكر بعض  
العابرين بقراءة الفاتحة ! ..  
أفيسعدكم يا مسلمون أن تربوا  
أولادكم على هذا النهج ؟ ..  
أفلا يؤرق لكم بالا ، أن تقبلوا الى  
الله غدا تحملون أوزار هذه التربية  
على ظهوركم عذابا من الله ونكالا ؟ ..

فعلوا فى استقبالهم لهذه الذكرى ،  
فان جميع ما يفعلونه لن يقع مؤتسعا  
القبول من صاحب الذكرى محمد عليه  
الصلاة والسلام .  
ان الأمة التى تصدق فى احتفائها  
بمولد نبيها محمد صلى الله عليه  
وسلم ، لا تذهب هذا المذهب  
العجيب فى احتفالاتها التقليدية برأس  
السنة الميلادية . وقد علمت جيدا  
أنها لا تسترضى بذلك قلب عيسى  
عليه الصلاة والسلام ، وانها  
تسترضى به نظرة أجنبية الى هذه  
الأمة ! .. نظرة ترمى بشر من الحق  
على دينها وغابر عزها وإجداها ! ..  
نظرة لا تقوم الدنيا الا من خلال  
الأحترق : متعة الفرج وبتعة  
البطن ! ..  
فتعالوا نكن صادقين — يا مسلمون  
— فى احتفالنا بذكرى مولد نبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم هذه المرة .  
ولنفسر صدقتنا هذا بسلوك يمسح  
عنا ماضى آثامنا ويرضى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عنا .  
ان عواطفنا الاسلامية — ولله  
الحمد — قد غدت مشبوبة وناضجة  
وما رأيتهما فى عهد من العهود أنضج  
منها اليوم .  
ان كلا من ظروف الحرب والسلام ،  
وموقف الدول الأجنبية — صديقة  
 وعدوة — منا ، وعبر الحياة التى  
نراها من حولنا والمآسى التى لاحقتنا  
يوم ابتعدنا عن حى اسلامنا — كل  
ذلك قد أورثنا يقينا لا يتزعزع بأن  
الاسلام من حياتنا كالروح من الجسد  
وكالماء البارد من الكبد الحرى ..  
وبأن مشكلاتنا — على اختلافها — لا  
يمحقها الا الاسلام عقيدة أولا ونظاما  
وأخلاقا ثانيا .  
وقد ولى العصر الذى كان يتجمل  
فيه بعض الناس بالالحاد ، ويجاهر

أكتب هذا الكلام ، وان ذكرى مولد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
تلوح لى من بعيد ، ولعل كلامى هذا  
لن ينشر الا والمسلمون فى انحساء  
عالمهم الاسلامى يستقبلونها ،  
وينصرفون الى الاحتفاء بها والاحتفال  
لها .  
ولكنى أعتقد أن المسلمين مهما

١٨

وقد انطبعنا الى حزيه من اعضاء  
عالمين لا اثناسا تقليديين .

انكم لتكثرون الكلام فى هذه الايام  
عن الجهاد ، وتسمعون عنه كثيرا ،  
ولكن اعلّموا أن أهم جهاد يستنصر  
له الاسلام المسلمين جميعا ، فى هذا  
العصر ، انما هو جهاد الدعوة الى  
الاسلام والتعريف به ، بقلب متحرّق  
صادق لله عز وجل .

ولست أعنى أن قتال العدو الذى  
يستحل أرضنا يأتى فى الدرجة الثانية  
من هذا الجهاد ، أو أنه ينبغي أن  
يؤخر الى ما بعد قيام المسلمين بواجب  
الدعوة الى الاسلام ، لا . . . ليس  
هكذا . فان العدو الجاثم فى أرضنا  
صائل ومقاومة الصائل واجب مستقل  
بذاته ، يكلف به المسلمون بقطع  
النظر عن الجهاد الذى نتحدث عنه .  
فاذا خرج العدو من ديارنا ، فـان  
ملاحقته بعد ذلك بالدعوة الى الاسلام  
والقتال فى سبيلها ، هو الجهاد .

ان القاعدة العريضة الكبرى التى  
يجب أن ينطلق منها المسلمون جميعا ،  
للجهاد فى سبيل الله اليوم ، انما هى  
جهاد الدعوة الى الاسلام على شتى  
المستويات وبكل الطرق والاساليب  
ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولو نهض المسلمون اليوم ، أو أكثرهم  
أو كثرة عظيمة فيهم ، بهذا الجهاد ،  
لا يبتغون الا وجه ربهم ، لا يسوقون  
أمامهم عصبية أو غرضا أو ضغينة  
لفتح الله على أيديهم وبالسنتهم آلاف  
القلوب الموصدة ، ولرايت للمسلمين  
مجتمعا اسلاميا سليما غير هذا  
الذى تراه اليوم .

ولكن أمة المسلمين أحد بلاعين ،  
بل كلاهما معا . . .

أمة المسلمين انهم أحد رجلين :  
رجل يتقلب فى نعيم دنياه منصرفا عن  
الاسلام وثنائه ، لا يبالى بالمصير

بالفسوق والكفران . انما اليوم  
( موضة ) قديمة ، وتقليعة بائدة .

ان ملاحدة الامس ، يتنافسون فى  
عرض عظمة الاسلام اليوم ! . .  
وان الدنيا كلها قد علمت أن  
الاحاد ليس الا ظاهرة مرضية ،  
تتسلل الى الفكر بواسطة جرثومة  
من أهواء النفس ، أو عقدها ، أو  
عصبيتها ، أو ردود فعلها ! . . وليس  
بعد الاسلام من ملجأ لاي فكر حر ،  
بعد أن تخلص من وباء الاحاد .

واذا فما جهودكم اليوم  
يا مسلمون ؟ . . يا مسلمون : علماء  
ومثقفين ومدرسين وعمالا وموظفين ؟  
كيف تستقبلون مولد نبيكم محمد  
صلى الله عليه وسلم ، من سجن هذا  
الجمود ، وقد علمتم أن ميراثه الوحيد  
الذى وضعه فى أعناقكم انما هو  
النهوض بأعباء الدعوة الى الله ؟ . .  
أو لا تزالون تعيشون فى تلافيف  
تلك الضلالة التى تزعم على السنة  
كثير من الجهال بأن للاسلام ( رجال  
دين ) هم المسؤولون عن الدفاع عنه  
إذا هوجم ، وعن أحيائه إذا ذبح ،  
وعن إعادة تشييده إذا هدم ، وأن  
غيرهم ليسوا الا نظارة يتخذون  
أماكنهم أمام المسرح ؟ . .

لقد آن لنا ، جميعا ، أن نستغفر  
الله من هذه الضلالة البشعة ، وأن  
نقف خاضعين خاشعين أمام قول الله  
عز وجل :

**«لومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله  
وعمل صالحاً وقال اننى من  
المسلمين» .**

ثم أمام قول رسول الله محمد عليه  
الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم  
مسؤول عن رعيته » .

ثم أن نبسط إيماننا صادقة الى الله  
عز وجل نبايعه بها على أن نكون —



كان فى تلك السخرية جرح  
لشخصيته الدينية .

وآية ذلك انه لو كان متجردا عن  
هذا المظهر ، لم بذلك الفاسق غير  
مكترب به ولا ملتفت اليه ، ولما حرك  
المصيان او السخرية لديه اى غيرة  
او هياج .

وانما يجس الفاسق فى فسقه  
على الاغلب - انانية او عصبية  
تستفحل بين جوانحه ، فلا يتأثر  
بتذكير ناصح ولا بتنبيه واعظ .  
والشئ الوحيد الذي يملك اذابة  
هذه العصبية والانانية فيه ، ان يشعر  
شعورا واضحا بتجرد الانسان الذي  
ينصحه ويذكره ، وان يقتنع بأنه لا  
يستهدف من نصيحته استعلاء عليه ،  
او تغلبا ، او تقوية لعصبته او  
عصبته . وانه انما يكلمه من مستوى  
الحب له والشفقة عليه .

فان زاد الداعى الى ذلك ان راح  
يقابل الايذاء بالصفح ، والسخرية  
بالرضى ، واستدبر حظ نفسه  
والانتصار لذاته ، فان ذلك من شأنه  
ان يوقظ كوامن الانسانية عند الطرف  
الآخر ، ويحيى فى فكره موضوعية  
البحث والنظر .

وجل القائل فى محكم كتابه لنبيه  
محمد صلى الله عليه وسلم عن  
المنافقين الذين كانوا يستقبلون دعوة  
الاسلام باهواء نفوسهم بدلا من افكار  
عقولهم - : « فيما رحمة من الله لنت  
لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب  
لأنقضوا من حولك ، فاعف عنهم  
واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » .  
وانظر كيف طبق الرسول وصية  
ربه جل جلاله ، يوم بلغه قول رأس  
المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فى  
غزوة اليرموك عن الرسول  
والمهاجرين : قد نافرنا وكاثرونا فى  
دارنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش  
« يقصد المسلمين » الا كما قالوا

الذي ينتهى اليه . وآخر يدعو السى  
الله والاسلام بزعمه ، ولكن بسلاح  
من عصبته وكبريائه ، وبسائق من  
حققت متعكنا وراء صدره ! .. وقليل  
جدا فى المسلمين من ينهض بواجب  
الدعوة الى الله دون ان يخلط بذلك  
حظ نفسه ودافع عصبته .

وما السر فى ان اكثر المنصرفين عن  
الاسلام لا يلتفتون الى دعوة الداعين  
اليه ولا يتأثرون بكلامهم ؟ ..

السر ان اكثر هؤلاء الدعاة قد  
اصبح مظهر الدين جزءا من  
شخصياتهم واصبحت مظاهر الاسلام  
من مقومات ذاتيتهم ، فتراهم يدافعون  
عن هذه المظاهر من حيث يدافعون عن  
شخصيتهم ومن حيث يذودون عن  
ذاتيتهم وكرامتهم . ويحس الآخرون  
بهذا ، فتستيقظ عوامل العصبية فى  
نفوسهم ، ويقوم من ذلك حاجز يحول  
دون وصول كلمة الحق صافية الى  
افكارهم .

وانه لمنزلق خطير ما ينبغى ان يقع  
فيه المسلم اذ يدعو الى الاسلام ،  
وانما يترفع عن الانزلاق فيه بالتنبيه  
الدائم الى حقيقتين عظيمتين :

الاولى : كراهية معصية العاصي  
لا كراهية شخصه ، فان كراهية  
الشخص من حيث ذاته حقد ياباه  
الاسلام وينهى عنه . وما ينهى  
الانسان عن فسوق او عصيان او كفر  
الا شفقة على المتلبس به .

الثانية : ان لا يخلط الانسان بين  
دافع الانتصار لربه والانتصار لذاته ،  
وما أدق الفرق بينهما لمن لا يكون دائم  
الرقابة على نفسه .

رب رجل ذى مظهر دينى يقابله  
بعض الفاسقين بتصرف ساخر من  
الدين ، فيأخذ الهياج ويتملكه  
الغضب ، وربما بطش به وضربه . .  
وهو لو تأمل فيها قد دفعه الى ذلك  
لراى انه حب الانتصار لشخصه ، اذ

سمن كلك يأكلك ، أما والله لئن  
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها  
الأذل ! ..

وحسب بعض الصحابة أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قاتله .. وقال  
له عمر رضى الله عنه : ألا أضرب  
عنقه يا رسول الله ؟ .. وجاء عبد  
الله بن عبد الله بن أبى بن سلول يقول  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :  
بلغنى يا رسول الله أنك تريد قتل  
أبى ، فإن كنت لا بد فاعلا فمهرنى أنا  
أحمل اليك رأسه ! ..

ولكن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أبى أن يمسه بأذى وقال  
لابنه : بل نترفق به ونحسن صحبته ما  
بقى معنا .

لقد كان من آثار هذا الموقف من  
النبي عليه الصلاة والسلام ، أن انفض  
عن ابن سلول كثير من قومه  
وجماعته ، فكان إذا حدثهم بحديث عن  
المسلمين بادروه بالمعارضة والتعنيف ،  
ولقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر  
رضى الله عنه بعد ذلك :

كيف ترى يا عمر ؟ .. أما والله لو  
قتلته يوم قلت أقتله لأرعدت له آنف ،  
لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ..

يا مسلمون .. لقد آن لنا أن  
نستيقظ الى حقيقة الدنيا التى من  
حولنا ، وأن يتعرف كل منا على  
هويته :

إننا عبيد أذلاء ، مهتر أعناقنا  
بختم العبودية لله عز وجل .

إننا جميعا موظفون .. ولكن فى  
ديوان الله عز وجل .

فلننهض جميعا بالوظيفة التى كلفنا  
بها سيدنا .. ولا يهمنكم رزق ولا  
مال فإن سيديكم قد ضمن لكم ذلك  
كله ، أن أنتم مقيم بمسؤولياتكم  
الوظيفية تجاهه : « لا نسالك رزقا

## نحن نرزقك والمأقبة للتقوى »

ووظيفتنا نحن معشر العبيد لله ،  
النهوض بالدعوة الى دينه فى بيوتنا  
ومدارسنا وجامعاتنا ومعاملنا  
ووظائفنا وأسواقنا ، وبين زملائنا  
وأصدقائنا ، لا نقيم محبة أو صداقة  
مع انسان الا على أساس الدعوة الى  
الله ، ولا نكره أو نبغض انسانا الا فى  
سبيل الله .

لا نحقد .. لأن الحقد دخان  
لنيران الانتقام الشخصى ،  
وشخصياتنا ذائبة لا وجود لها فى  
طريق الدعوة الى الله .

لا ننحاز لعصبة .. لأن العصبة  
مظهر لانانية الجماعة ، ولا انانية  
فردية أو جماعية فى بوتقة العبودية  
المطلقة لله .

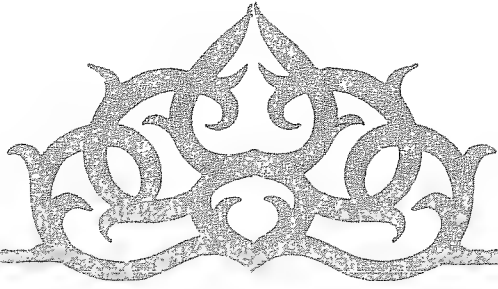
لا نطمع فى دنيا أو مصلحة ..  
فقد كفانا مالك الملك كله ، كل طمع  
فيمن دونه ..

قطب سعيها كله فى الدنيا هو  
البحث عن الحقيقة .. الحقيقة  
الكبرى التى تتدرج فى تضاعفها  
حقائق الدنيا أجمع . فاذا اهتدنا اليها  
فإن من حق الأسرة الانسانية كلها  
علينا أن نعرض لها سبيل هذه  
الحقيقة . وخيانة كبرى أن يهتدى  
أحد الاخوين الى الطريق السليم ،  
فينحط فيه معرضا عن أخيه الذى  
أسلم نفسه لمناهة توصله الى  
الهلاك .

هذه وظيفتنا جميعا .

فإن نحن قمنا بها ، كان ذلك خير  
إحياء لذكرى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، وكان ذلك أقصر سبيل  
لنصر متكامل قريب ، ومجد صادق لا  
ينال منه عدو ، وقوة تخيف منكم  
الدنيا كلها .

يأتىكم ذلك كله وأكثر .. من حيث  
لا تحسبون .



# عصمة الأنبياء

أثبتت دعائم الأمن والثقة بالوحي

الدكتور وهبه الزحيلي

لست عادة ممن يكتبون في الموضوعات التقليدية القديمة ، ولا من الذين يرددون مكرور القول المعاد ، أو محاكاة الغير والنقل عنهم ، الا فيما يتعلق بالمبادئ والأصول الثابتة ، فهذه حق مشاع للجميع ، وتركبة غالبية الثمن نحفظ بها في صميم القلب والروح ، ومنطلق أساسي لكل محاولة تجديد بمعناه الصحيح ، وليس بمعناه الفوضوي الذي يريد دعائه التخلص من كل قديم بغيا وعدوانا لاحقا وانصافا ، وانما هو المستند الى القديم النافع ، والمبدأ الاصيل الذي لا يتغير شأن القرآن والسنة النبوية وما ضما بين جناحيهما من اصول القيم والفضائل التي حددت مقاصد التشريع وابانت غاياته ومراميها العامة .

وعصمة الانبياء ، وان كان الكلام فيها قديما ، الا انها مبدا متجسد ومائل في ذهن وعقيدة كل مؤمن بالرسالات الالهية صباح مساء ، ليل نهار . وقد حركتني دوافع معينة للكتابة في هذا الموضوع ، منها : ما نرى ونلمس في الاوساط الكتابية الصحفية والتأليفية ، وغير الكتابية مما يتردد على السنة الناس هوسا وغوغائية من رصف واسباغ اوصاف مغالي فيها اما لبعض الزعماء والقادة الذين ينتصرون في معركة حربية او ثقافية ، او ينجحون في وضع خطة سياسية او اجتماعية او اقتصادية ، واما لبعض العلماء الذين يبتكرون اختراعا هاما ، فيجعلهم عامة الناس اشبه بالاله

أو النبي المعصوم : « أن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

وبما أن المؤمن يباعث إيمانه حريص على معرفة حقائق الاسماء والمسميات ، مستئول عن كل كلمة يتقوه بها ، فهو مطالب بمعرفة الفرق الواضح بين ما له صفة القداسة بمعناها الحق ، وبين ما هو عرضة للخطأ والانحراف ، وإن أصاب أحيانا ، سواء أكان المصيب حاكما ذا سلطان قاهر ، أو عالما ذا باع واسع في ميدان العلوم .

أما صفة القداسة المطلقة فلا تكون إلا للاله الواحد خالق الأكوان ، لا للآلهة المزعومة ، ويقترب من صفة القداسة نسبيا النبي أو الرسول المبلغ عن الله وحيه وأحكامه وشرائعه . فضمانا لصحة التبليغ وأمانة الوحي لا بد من توفر ما يعرف بالعصمة لكل نبي في تبليغ الوحي الإلهي وما تقتضيه الرسالة ، وفيما يضمن له النجاح في أداء مهمته بتوفير السلامة والأمن والصون من أذى الناس .

فالعصمة إذا هي أوطد صمام إمان في وصول الشرع السماوي سليما لبنى البشر ، وآمن وسيلة لتوفير الثقة والصحة والأمن من التبديل والتصديق بمضمون رسالة الأنبياء عليهم السلام ، كاملة غير منقوصة .

ثم إن معجزة العصمة هي أول الأصول التي تساعد النبي أو الرسول في اظهار معجزاته المادية والمعنوية الخارقة لقانون العادة والقدرة المألوفة ، والدالة على صدق رسالته المؤيدة لدعائه النبوة من قبل الله تعالى .

ويجدر الكلام عن العصمة بمفهوميهما السابقين : عصمة التبليغ ، والعصمة من الناس ، وذلك بتحديد معنى العصمة وأدلة ضرورتها ، ووقائع عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من إيذاء الناس كنموذج للأنبياء . ويتخلل البحث عرضا لا قصدا تنفيذ دعاوى المغالين بعصمة الأنبياء أو عصمة الأئمة الحاكمين بعدهم .

ويمكن الامادة بحق مما كتبه علماؤنا الأوائل كشرح المواقف للعضد الأيجي والشريف الجرجاني ، وأصول الدين للبغدادي ، والاربعين في أصول الدين ، وعصمة الأنبياء للإمام الرازي ، وأعلام النبوة للماوردي ، ومنهاج السنة النبوية ، وشرح العقيدة الاصفهانية أو الواسطية لابن تيمية الجرجاني .

أما حقيقة عصمة الأنبياء بالمعنى العقدي فهي الا يخلق الله فيهم ذنبا . وهي عند الحكماء الفلاسفة : ملكة تمنع عن الفجور ، وتحصل بالعلم بمطالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وتتأكد بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الداعية الى ما ينبغي ، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي . وعرفها الشيخ المفيد من علماء الشيعة الإمامية بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه ، وهو لحلف يمتنع من يختص به

عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر . أى أنه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية ، وترك الطاعة ، مع القدرة عليهما .  
وقصر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة — خلافا لبقية الشيعة —  
القصبة على الانبياء من حيث نزول الوحي عليهم ، فرأى أن العصمة  
مقتضية أربعة أشياء :  
أولها : أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور ، داعية الى  
العفة .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .  
ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله .  
رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك  
مهملًا ، بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر . وهذا الوضع الاخير مخالف  
لرأى أغلبية الشيعة ، كما سنبين ، فمتى اجتمعت هذه الاوصاف الاربعة  
فى رأى ابن أبى الحديد ، كان الشخص معصوما عن المعاصي .  
وقد أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب توفر صفة عصمة  
الانبياء عن تعمد الكذب أو الخطأ فيما يبلغونه عن الله تعالى من شرائع  
وأحكام وأوامر ونواهي وأخبار ، فلا يقع منهم تحريف أو خيانة فى ذلك ،  
لا عمداً ، ولا سهواً ، حفاظاً على حقيقة الشرائع الالهية .  
وكذلك هم معصومون عن كل ما تقتضيه الرسالة من عدم الوقوع فى  
الكفر والبدعة ، وتعتمد الخطأ فى الفتوى ، والامتناع فى أفعالهم وأحوالهم  
عن اقتتراف المعاصي الكبائر ولو سهواً فى رأى الايجى ، أو تعمد الذنوب  
الصفائر فى رأى بعض العلماء كالرازى ، وأجاز جمهور العلماء صدور  
الصفائر عنهم ولو عمداً ، إلا الصفائر الخمسة : وهى ما تلحق فاعلها  
بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة ، فأنها لا تجوز منهم أصلاً لا عمداً ولا سهواً .  
وهذا كله بعد الوحي والاتصاف بالنبوة وزمانها . أما قبل اتصافهم  
بالنبوة فلا مانع من صدور معصية منهم ، لأنهم بشر عاديون ، كحادثة القتل  
التي ارتكبها موسى عليه السلام قبل أن يصير نبيا .  
وأما ما ورد فى القرآن من أخطاء الانبياء : فهو إما على سبيل النسيان  
كمعصية آدم فى الجنة قبل أن يصير له أمة : « فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » ،  
وإما على سبيل ترك الأولى .

وبغض النظر عن أى خلاف جرى بين العلماء فى احتمال وقوع النبي  
فى معصية كبيرة سهواً أو صغيرة عمداً ، فإن الأمة قاطبة متفقة على أن  
الانبياء هم تحت مرصد دقيق للعناية الالهية ، وفى ظل مراقبة محكمة من الله  
حتى لا يستقر منهم الخطأ ، فلا يقرون على الخطأ . كما نقل — وهو حديث  
مكذوب — أنه ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم : « تلك الغرائق العلى



وان شفاعتهن لترتجى » عقب قوله تعالى : « واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » فقد نسخ الله ما القاه الشيطان ، وأحكم آياته : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد » .

وغلا الشيعة الامامية لا الزيدية فى شأن العصمة ، فقالوا بنبوتها للانبياء قبل نبوتهم ، وكذلك للأئمة الحاكمين قبل امامتهم ، بل فى دور طفولتهم ، من الكبار والصفائر كلها ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ فى التأويل ، بل إنهم مبرعون عنها قبل الوحي وبعد الوحي .

والذى يهمننا بصدد الاقتداء بالنبي واتباعه فى قوله وفعله أن نؤكد قضية هامة : وهى أننا مطالبون باتباع ما يصدر عن النبي قصدا لا سهوا ، وقد وقع السهو والنسيان والخطأ فعلا من نبينا صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة بزيادة ركعة ، أو بصلاة ركعتين بدل الاربعة ، من أجل ارشادنا وتعليمنا ، ولأن السهو والخطأ ليسا من الذنوب . روى مالك فى الموطأ : « انما أنسى أو أنسى لأسن » وأخرج الشيخان فى صحيحيهما : « انما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكرونى » وقد ذكره الصحابة ، وسجد عقب الانتهاء من صلاته سجدتى السهو .

وأما التحريف والخيانة فى نقل الموحى به ، فهو أبعد ما يكون عن الانبياء ، لأنهم معصومون . وقد تكرر فى مناسبات متعددة فى القرآن تحديد مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي ، واتباع ما يوحى به اليه ، بل والتهديد بالعقاب الشديد فيما لو كذب فرضا ، أو غير وحرف جدلا ، فقال تعالى مثلا : « ان عليك الا البلاغ » « انما أنت منذر » « قل : انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » « ان اتبع الا ما يوحى الى » « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى » « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » . وقد فصل القرآن المجيد فى مطالب القرشيين المتعذرة بحكم العادة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال سبحانه عارضا قصة هؤلاء المعاندين : « وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالهالة الملائكة قبلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا » .

وتقرر بذلك حقيقة كبرى : وهى أن الرسول بشر كسائر البشر

فيما لم يتصل بالوحي ، ولا يقدر أحد من البشر على الإتيان بشيء من الوحي من عنده ، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة : « قل : ما كنت بدعا من الرسل » ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى ) « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر أن العاقبة للمتقين » .

أما البراهين المثبتة لعصمة الانبياء ، فهي كثيرة ، دل عليها المنطق والعقل ، وأيدها القرآن الكريم ، وقد أوردها الامام الرازي ، ومنها : أن الانبياء قدوة للناس وواجب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم بالاجماع لقوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : « قل : أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فلو وقع منهم ما يخالف مقتضى الرسالة من المعاصي حرم اتباعهم في ذلك وهو مخالف لمعوم الأمر بالاتباع . وادى ذلك أيضا الى رد شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالاجماع لقوله تعالى : « أن جاءكم فاسق فبنا فتيبوا » وكذلك يجب تمنيعهم وزجرهم للأمر بالمعصم بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي زجرهم ايذاء لهم ، وأيذاؤهم حرام اجماعا ، ولقوله تعالى : « أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » ، وكان عقابهم على الذنب مضاعفا ، لصيرورتهم أسوأ حالا من عصاة الأمة . ولا يستحقون حينئذ الائتمان على عهد الله لقوله سبحانه : « لا ينال عهدي الظالمين » وكانوا أيضا غير مخلصين ، علما بأن الشيطان لا يقوى المخلصين : « لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » ، وصاروا بالذنب من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون ، وما استحقوا الوصف بالمبادرة الى الخيرات من فعل وترك ، مع أن الله قال في إبراهيم واسحق ويعقوب والانبياء : « أنهم كانوا يسمعون في الخيرات » وقال سبحانه : « أنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » ، وأصبحوا بترك الطاعة وفعل المعصية داخلين في قوله تعالى : « لم تقولون ما لا تفعلون » وقوله عز وجل : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، ولما ثبت أنهم أفضل من الملائكة ، ولما استحقوا الوصف بكونهم أئمة يقتدى بهم ، كما قال تعالى في حق إبراهيم : « أنى جاءك للناس أمما » .

واستدل المعتزلة بناء على منهجهم في الاستدلال العقلي لاثبات رأيهم في عصمة الانبياء من اقتراح الذنوب الكبائر ولو سهوا ، والصفائر ولو عمدا وان تاب عنها : بأن ذلك يوجب النفرة عنهم ، وعدم الانقياد لهم ، مما يؤدي الى اهدار المصلحة المترتبة على البعثة ، وفساد الخلائق ، وترك استصلاحهم . وهو أمر مخالف لمقتضى العقل والحكمة . ولذا يمتنع على الانبياء أيضا كل ما ينفر مطلقا حتى لو لم يكن من أفعالهم ، وإنما من أنال غيرهم كهمر الأمهات أى كونها زانيات ، وفجر الآباء ودعاتهم واستزدالهم واقتراحهم الصفائر الخسيسة .

## عصمة النبي

وإذا كانت هذه هي العصمة وشتملاتها وأدلة ثبوتها والغاية منها فلا يمكن أن تكون لغير نبي ، سواء أكان حاكما أم لا . إذ بها فقط تضمن سلامة وصول الوحي السماوي إلينا من غير تحريف ولا تأويل ، ولا نقص ولا زيادة ، فهي أمر ضروري تفرضه طبيعة النبوة ، وتقتضيه الرسالة الإلهية .

أما القول بعصمة الأئمة الحاكمين ، أو عصمة الإرادة العامة للأمة ممثلة بالإجماع أحيانا ، فهو ذو وصف آخر يرتبط في الحقيقة بأمامة الناس وسياسة الدولة أكثر من ارتباطه بالنبوة ، وذلك من أجل اضفاء نوع من القداسة على السلطة الحاكمة ، أو تقرير سيادة الدولة في مواجهة الرعية لتأمين إخضاع الفرد لدولته ، إذ ماذا يمكن لحاكم أو لاهل الحل والعقد أن يقرروا من أمور دستورية ذات صبغة الهيبة ؟ فالقول بعصمتهم من الوقوع في الخطأ مقيد في نطاق تطبيق الشريعة الإلهية ، لا من أجل تشريع مبتدا . ومن هنا نفى سيدنا على رضي الله عنه أن يكون مخصصا بشيء من النبي فيما عدا الفهم البشري الذي يؤتاه الله للإنسان في كتاب الله ، فلم يصف سيدنا على نفسه بالعصمة ، بل ولم يتقبل مثل هذا الوصف الذي أطلقه عليه غيره في عهد متأخر أو في عهد جعفر الصادق رضي الله عنه . لذا لم يقل الزيدية بمبدأ عصمة الامام . ونحن لا نجد حاجة في مناقشة حجج الامامية القائلين بذلك ، لأنهم أراحونا فقالوا بعدم وجود الامام المعصوم من زمان بعيد ، وأدلتهم وان قبلت من الناحية النظرية وفي النطاق السياسي ، لكنها تصطدم بالواقع ، فإذا كانت الأمة بحاجة إلى معصوم يحفظ لها الشريعة ويقضي بالوقائع المتجددة ، فهذا مجرد تصور عقلي وتمن مجرد ، لا يلائم الواقع بعد انقطاع الوحي . ويفضل أن تثبت العصمة لجبوع الأمة ، لأن نقل الشريعة بطريق التواتر خير من نقله من طريق الشخص الواحد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » أو « على خطأ » .

ويكفي في الامام الحاكم عدالة ظاهرة بموافقة الشريعة لاتباع أمره وتخضع الرغبة لسلطانه ، كما أن القاضي والأمير والمجتهد يتبعون وهم ليسوا بمعصومين ، هذا فضلا عن أن القول بعصمة الحاكم وتقديسه ، أو القول بسيادة الدولة المطلقة أصبح لا يتفق مع مفاهيم الحياة الحديثة والانظمة الديمقراطية ، بل ومبدأ الاسلام الذي يقضي بمسئولية الحاكم

## عصمة النبي

واخضاعه لرقابة الأمة ، فتطيعه اذا استقام ، وتحاكبه وتعزله ان انحرف وزاغ عن سنن الحق .

وأما العصمة بالمعنى الثانى المكمل للمعنى العصمة فى التبليغ عن الاله : وهو صيانة النبي عن اذى الناس ، فأمر ثابت لكل نبي بعد أداء رسالته ، لتحقيق الغاية المرجوة من ارساله : وهى اصلاح البشرية وتبليغ مضمون الرسالة السماوية لهداية الانسان . وأذكر هنا كأنموذج للأنبياء معجزات عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التى أظهرها الله تعالى له بعد ثبوت نبوته بمعجز القرآن واستغنائها عما سواه من البرهان ، ومن هذه المعجزات تكرار حدوث وقائع متعددة وفرت له الحصانة والصون والنجاة من اذى الأعداء ، تحقيقاً لقوله تعالى : « **والله يعصمك من الناس** » ومن ذلك : نجاته صلى الله عليه وسلم من مؤامرة القتل التى دبرها له مشركو قريش ليلة هجرته الى المدينة المنورة بصحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « **واذ يكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** » . وحينما اكتشف سراقة بن مالك النبى وصاحبه فى الطريق الى الفار ساخت أقدام فرسه فى الارض الى ايظها ، فقال : « **يا محمد ادع الله أن يطلقنى ، ولك على أن أرد من جاء يطلبك ، ولا أعين عليك أبدا** » ثم أسلم وحسن اسلامه .

وقبل الهجرة أيضا حاول قتله عليه الصلاة والسلام نفر من عظماء قريش وهم معمر بن زيد من سادات بنى كنانة ، وكلدة بن أسد أبو الأشد ، وأبو لهب ، وعتبة بن ربيعة ، ثم ارتدوا على أعقابهم خاسئين ، وقال معمر لقريش حينما هم يقتله فى حجر ابراهيم : « **ويحكم المغرور ممن غررتموه .. انى لما دنوت من محمد ، فأردت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران ، وتلمع من ابصارهما ، فعدوت ، فما كنت لأعود فى شيء من مساء محمد** » . ولما أراد كلدة قتله فى الطريق وهو ذاهب الى المسجد ، رجع السهم فى صدره . ولم يقدر أبو لهب من قتله رغم وقوف امراته أم جميل على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد . وقال عتبة - الذى حاول القتل بعد أن قرأ عليه الرسول أوائل سورة ( فصلت ) الى قوله تعالى ( **مثل صاعقة عاد وثمود** ) - مخاطباً قريشا : « **ويحكم دعونى ، انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ، ولقد رعدت على الرعدة ، حتى خفت على نفسى ، وقتلت : الصاعقة قد أخذتنى** » .

وبعد الهجرة أراد رجل اسمه ( دعثور ) قتل النبي حينما انفرد بنفسه فى غزوة ذى امر عن أصحابه ، فسقط السيف من يده ، حينما استله ، قائلاً

## عصمة النبي

لرسول : « من يمنعك مني » فأجابه : « الله » ، ثم أخذه النبي عليه السلام .

وفي موقعة حنين أراد شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قتل الرسول حينما رآه منفردا عن صحبه ، وقال : « اليوم أدرك ثأري ، وأقتل محمدا » ، لأن أباه قتل يوم أحد في جماعة أخوته وأعمامه . ثم خذله الله ، فقتل : « فلما أردت قتله ، أقبل شيء حتى تفشى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع » .

وحيثما اتفق عامر بن الطفيل وأريد بن قيس ( أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه ) على أن يشغل الأول النبي ، ويضربه الثاني بالسيف ، بدت أعظم مظاهر الخيبة لهما ، إذ أمسك الله يد ( أريد ) الذي سل سيفه قريبا من ذراع ، فلم يستطع أن يسله ولا أن يغمده . ثم دعا النبي عليهما ، فمات عامر بالطاعون ، وأرسل الله على أريد وعلى جماله صاعقة أحرقتهم .

قال الماوردي في أعلام النبوة عقب هذه الحوادث وأمثالها : « فان قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها ؟ قيل : العداوة ظاهرة ، والطلب معلوم ، والسلامة موجودة ، فلم تدفع جملة الاخبار ، ولم يصح في جميعها توهم الكذب ، وان جاز في آحادها توهم الكذب ، كالحكي من سخاء حاتم ، وشجاعة عنتر » أي أن ثبات عصمة النبي صلى الله عليه وسلم واضح من طريق التواتر المعنوي : وهو ما اختلفت فيه الفاظ النقل ، واتحد فيه مضمون الخبر .

هذه هي عصمة النبيين التي كانت أولى الوسائل للحفاظ على آخر الكتب السماوية وخاتمة الوحي الالهي منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يوم القيامة صحيحا غير محرف سليما غير مبدل ، ألا وهو القرآن المجيد هداية العالمين ونور السماء والأرض : « وإنا أنزلناه رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » « وما هو بقول شيطان رجيم . فإين تذهبون . أن هو ذكر للعالمين » .



### من الرباط الى لاهور :

بإحراق إسرائيل للمسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩ ، بدأ المسلمون الذين يشكلون — في حقيقتهم — أمة مشتركة العقيدة والتاريخ والأهداف والمصير ، يتأكدون — بوضوح — من حقيقة الغارة اليهودية على فلسطين .  
إنها تحد جديد موجه الى الإسلام ، بدأ بإحراق المسجد الأقصى ، لكنه لن ينتهي — اذا ظل المسلمون على حالهم من النفك والتخلف — إلا بإحراق استار الكعبة ، وهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واغتصاب أرض الجزيرة ، التي عاش فيها ذات يوم يهود خيبر ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة !!.

هكذا يخطط اليهود ، وتلك اهدافهم التي يعلنونها ، في كل مناسباتهم الدينية : « السيطرة على العالم الإسلامي بدءاً من السيطرة على العالم العربي ومقدساته ، وتكوين امبراطورية يحكمها حاخامات بني إسرائيل » ... !!  
ولم يمض شهر على إحراق المسجد الأقصى ، حتى عقد زعماء المسلمين مؤتمر القمة الاسلامي الاول في سبتمبر ١٩٦٩ ، بمدينة الرباط بالمغرب ، لبحث مشكلة المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى بخاصة .



● ادى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح صلاة الجمعة فى مسجد ( بادشاهى ) بالباكستان . ويبدو سموه فى مقدمة المصلين ، كما يبدو الى جانب سموه جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس قيادة الثورة الليبى الرئيس معمر القذافى ، ويبدو كذلك الشيخ عبد الله الجابر الصباح المستشار الخاص لصاحب السمو الامير المعظم .

والآن مؤتمر الرباط كان مجرد رد فعل عاطفى على حادث الأقصى ، ولأنه — كذلك — عقد فى ظروف نفسية وتاريخية صعبة — فانه لم يسبقه إعداد تمهيدى ، ولم يكن لديه برنامج محدد « جدول أعمال » ، وبالتالي فانه لم ينته الى إصدار أية قرارات ، وانما تركزت قيمته الحقيقية ، فى انه إعلان عن بداية مواجهة المسلمين للتحديات التى تواجههم ، وإعلان — كذلك — عن أن الشعور الاسلامى والتضامن الاسلامى لا يزالان بخير فى الأمة الاسلامية .

وخلال السنوات الأربع التى تلت قمة الرباط تتابعت مؤتمرات إسلامية على مستوى وزراء الخارجية : فى جدة ١٩٧٠ ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجدة — مرة ثانية — ١٩٧٢ ، وبنغازى ١٩٧٣م ، بما أكد أن اتجاه المسلمين الى التضامن قد بدأ يشق له طريقا واضحا ، أكثر وعيا وتنظيما وإيجابية .

### المناسخ الجديد :

— لقد تغيرت فى هذه السنوات التى تلت مؤتمر الرباط كثير من المعادلات الدولية التى أكدت للمسلمين أن طريقهم الى الحياة والتقدم لن يكون بغير وحدتهم الاسلامية ، واعتمادهم على الله وعلى أنفسهم ، كما أن الوجه الحقيقى لأعداء المسلمين — على اختلافهم — قد تكشف إزاء عديد من القضايا التى هزت الكيان الاسلامى هذا عنيفا .

مع هذه الرؤية التى بدأت تتضح لانتظار المسلمين ، وقامت حرب البعائر من رمضان التى ظهر العرب فيها بوجهه مشرف للإسلام والمسلمين — فأعطت هذه الحرب الكريمة للمسلمين والعرب روحاً جديدة ، تؤكد حقيقة الوحدة التى تضمهم ، وتؤكد أنهم يملكون طاقات ضخمة تؤهلهم لتحرير أنفسهم ، وتحقيق التقدم والتفوق فى المجالات المختلفة ، شريطة السير فى تحقيق الوحدة ، وتحقيق الاعتماد على الله وعلى الذات .

وفى ظل الرؤية الجديدة ، وهذا الشعور الجديد ، انعقد مؤتمر القمة الإسلامية الثانى بـلاهور فى يوم الجمعة ( ٣٠ محرم ١٣٩٤ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٧٤ م ) .

### أكبر تجمع إسلامى :

وجهت سكرتارية المؤتمر الإسلامى الدعوة الى الدول الإسلامية الأعضاء ، فلبى النداء احدى وثلاثون دولة من بينها تسع عشرة دولة عربية — باستثناء دولة عربية واحدة ، ومع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة لشعب فلسطين .

وقد طلب الانضمام لعضوية المؤتمر الإسلامى ست دول إفريقية تم قبول طلبها ، وقبول حضورها المؤتمر وهى : الجابون ( التى اعتنق رئيسها عمر بونجر الإسلام مؤخراً ) وغامبيا ، والكاميرون ، وأوغندا ، وقولتا العليا ، وغينيا بيساو .

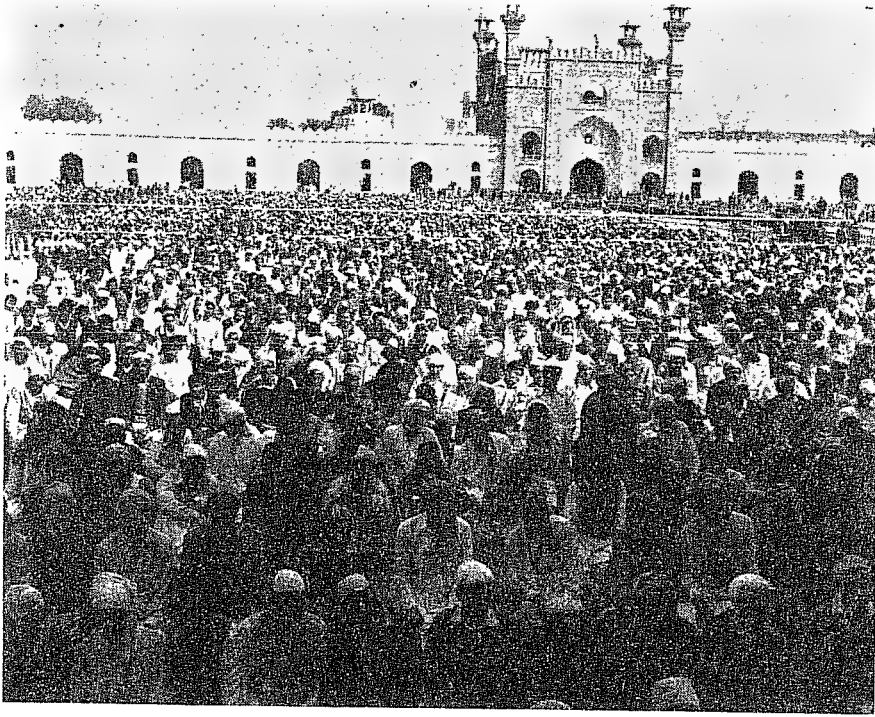
وبقية الدول الإسلامية المشتركة هى : باكستان ، واندونيسيا ، وأفغانستان ، وتركيا ، وإيران ، وماليزيا ، وتشاد ، والنيجر ، وغينيا ، والسنگال ، والصومال ، ومالى . وأخيراً ، انضمت بنغلادش ، بعد محاولات الوفاق بينها وبين باكستان ، فبلغ بذلك مجموع الدول المشتركة فى المؤتمر ثمان وثلاثين دولة إسلامية .

### مؤتمر لاهور :

فى مسجد « باد شاهى » الذى شيده الأمبراطور المغولى المسلم « أورانجزيب » منذ ثلاثة قرون .. فى هذا المسجد الذى يعد من أكبر وأجمل مساجد العالم ، والذى ارتبط اسمه بالشاعر والفيلسوف المسلم « محمد اقبال » .. فى هذا المسجد قام الملوك والرؤساء بأداء صلاة الجمعة ، ووراءهم مائة ألف مسلم ، حيث أمهم حامى حى الحرمين ، شاهل السعودية ، الملك فيصل .

— وبعد الجمعة ، توجه الزعماء المسلمون الى مقر المؤتمر لبدء عملهم الذى استمر ثلاثة أيام متتالية . ومركز « جدول الأعمال » — الذى كان وزراء الخارجية قد انتهوا اليه — على قضية واحدة محددة ، ذات أبعاد ثلاثة





● **جموع المصلين الذين توافدوا على مسجد بادشاهي بالباكستان لتأدية صلاة الجمعة ، حيث اجتمع أكبر عدد من رؤساء الدول الإسلامية في العالم لتأدية صلاة الجمعة فيه .**

... أما القضية فهي قضية الشرق العربي ، وأما أبعادها الثلاثة فهي : « عروبة القدس وإسلاميتها — حقوق شعب فلسطين — انسحاب إسرائيل من الأرض العربية المحتلة » .

ولم يمنع هذا التركيز المؤتمر من أن يصل الى قراراتين مهمين عاجلين ، أحدهما خاص بقضية « الفلبين » ، والآخر خاص بقضية « الارتفاع بالمستوى الاقتصادي للأمة الإسلامية » ، حتى لا تقع فريسة المساعدات الخارجية الخبيثة !!

وكما بدأ المؤتمر واضحا ، فإنه انتهى — كذلك — واضحا .. فكانت قراراته التي أقرها في جلسته الختامية تؤكد في مجموعها وسائل تحقيق الأهداف التي وردت في جدول الأعمال .

ولما كان الأستاذ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ، عضوا في الوفد الكويتي الذي رافق صاحب السمو أمير الكويت المعظم الى المؤتمر ، توجهنا إليه بالأسئلة الآتية :

● **سيادة الوزير : « صرح صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، بأن مؤتمر لاهور كان مؤتمرا عمليا وإيجابيا ، امتاز بالنظرة الواقعية » هل تتكرمون بتفصيل هذا التصريح من خلال معاشيتكم للمؤتمر وقراراته ؟**

— أجاب سيادته :

« لقد كان مؤتمر القمة الذي عقد في مدينة لاهور عاصمة « الهند » الإقليمية ، متفهما للقضية العربية ، مدركا أنها قضية تهم كل مسلم . وليست قضية عربية فقط ، وأنها — قضية كل البلاد التي تقف ضد الظلم والعدوان ، وقضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بإرادته الحرة .

وبالنظر لما توفر لهذا المؤتمر من تجمع إسلامي كبير ، ضم مختلف المناطق الإسلامية ، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، فقد عبر المؤتمر باجتماعهم هذا — عن روح التضامن الإسلامي والأخوة الإسلامية التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « ترى المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وأیضا الى بالنظر الى الروح التي سادت هذا المؤتمر وهي روح الأخوة الإسلامية الصادقة .  
وبالنظر للقرارات التي اتخذها المؤتمر ، وهي القرارات التي أعطت للقضايا العربية الإسلامية دفعا معنويا وواقعا طيبا . .  
— بالنظر لهذا كله — يتأكد بجلاء أن مؤتمر لاهور ، كان — حقيقة — مؤتمرا عمليا وإيجابيا وواقعا .

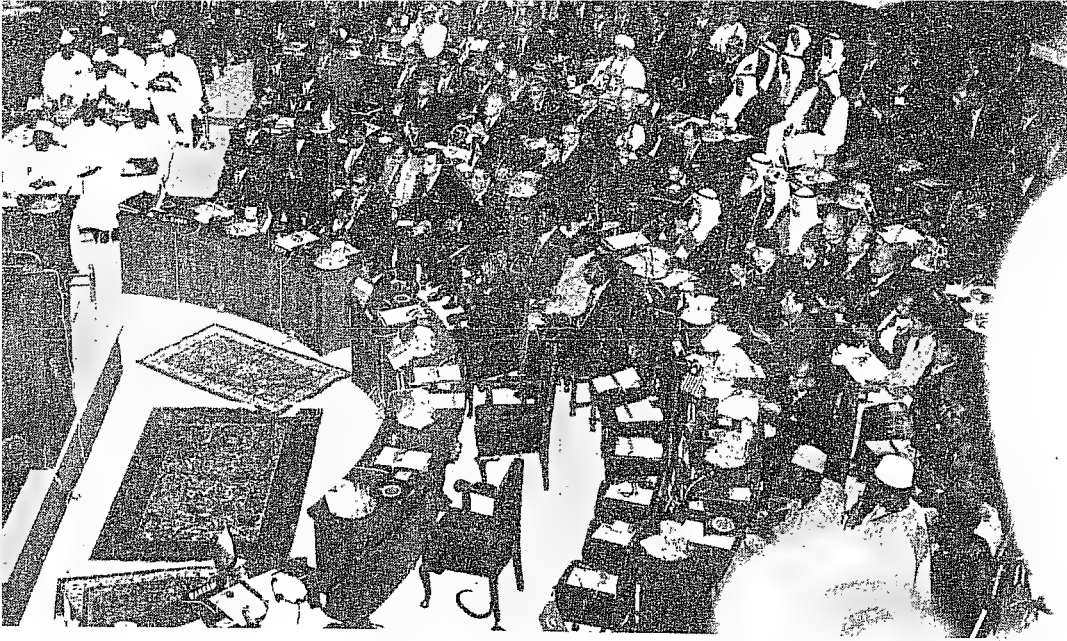
● هل أعطى المؤتمر قضايا إسلامية أخرى — غير القدس وفلسطين — نصيبا من جهده وقراراته ؟

— نعم ، أهتم المؤتمر ببعض القضايا الإسلامية الملحة ، غير قضيتي القدس والشرق الأوسط . . . وعلى سبيل المثال ، فإن مشكلة الفلبين أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤتمر ، واتخذت بشأنها قرارات مناسبة وجدية ، وشكلت لجنة لتابعة هذه القرارات ، وأيضا . . نجح المؤتمر في تقريب الخلاف بين باكستان وبنغلاديش ، وفي حضور الشيخ مجيب الرحمن الى المؤتمر ، واعتراف باكستان ببنغلاديش . وغير خاف الجهد الكبير الذي قامت به الكويت — بالذات — في هذا السبيل — وأنه بحق لجهد ريادي ضخم . .

ومع ذلك ، وفيما يتعلق بهذا السؤال أحب أن أقول : إن القضايا الإسلامية كثيرة ، ومن الصعب تناولها بالقدر المطلوب لها في مؤتمر « القمة » ، والمعروف أن مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية المتتالية تقوم بمتابعة القضايا الإسلامية كلها ، وأما اجتماع « القمة » فهو لعلاج قضايا حاسمة وملحة وعاجلة .

هذا فضلا عن أن مؤتمر القمة الإسلامي كان يسير وفق « جدول أعمال » انتهت اليه الاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية ، وتم فيها وضع القضايا ذات الأولوية أو الخطورة أمام الزعماء المسلمين . وهي تلك القضايا التي تستدعي جهد « القمة » نفسها ، ومشاركتها مشاركة مباشرة .

● مع تقديرنا لقرارات المؤتمر المحددة حول القدس والحق العربي والفلسطين . . . هل صدرت قرارات عامة تؤكد بداية التضامن الإسلامي ، وتخدم مجموع المسلمين ؟



### ● جانب من حفل افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور

— لقد تدارس المؤتمر الموقف الاقتصادى الاسلامى بصفة عامة ، ووضع البلاد الاسلامية الاقتصادى بصفة خاصة .

وبناء على هذه الدراسة ، قرر إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ، ومصر ، والكويت ، وليبيا ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والسنگال ، ودولة الامارات العربية .

— وأبرز أعمال هذه اللجنة إيجاد الوسائل والأساليب التى تهدف الى تخفيف المصاعب الاقتصادية التى تواجهها الدول النامية ، والتى تنظم شروط التبادل التجارى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فيما يتعلق بموارد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .. وكل هذا فى سبيل القضاء على الفقر والمرض والجهل فى البلاد الاسلامية ، وإنهاء استغلال الدول الصناعية الكبرى للدول الاسلامية .

واعتقد أن هذا القرار الاقتصادى سيكون له أثر حميد فى خدمة الأمة الاسلامية كلها ، وحل كثير من مشاكلها التى تكاد تكون مشتركة بين أكثر دولها .

● من بين قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف العرب المنعقد بالكويت فى المحرم ١٣٩٣ ، إنشاء « مكتب تنسيق إسلامى » ... هل تم إنشاء هذا المكتب ؟ والا يمكن عن طريق هذا المكتب — بعد مؤتمر لاهور — التخطيط لعقد مؤتمرات ووزراء الأوقاف على مستوى العالم الإسلامى كله ؟

— الحق أن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العربى الذى عقد فى الكويت ، كان مؤتمرا تأسيسيا فقط ، وبالتأكيد ، وبعد ظهور طابع التضامن الإسلامى .. لا شك أن التنسيق سيكون قائما بين مؤتمرات ووزراء الأوقاف والامانة العامة للمؤتمر الإسلامى ، لتتولى هى مهمة مكتب التنسيق الإسلامى . وسيكون من السهل بعد ذلك عقد مؤتمرات لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية على مستوى العالم الإسلامى ، ولا سيما وأن معظم وزراء الأوقاف

والشئون الإسلامية كانوا أعضاء في وفود بلادهم الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور .

### ● هل تقابلتم وبعضى السادة وزراء الأوقاف الذين حضروا الى لاهور ؟

— التقيت بأكثر من وزير للأوقاف والشئون الإسلامية ، وتباحثت معهم في القضايا التي تهم العالم الاسلامى ، والتي يمكن التعاون فيها لخدمة الاسلام والمسلمين .

ومن هؤلاء الإخوة الوزراء الذين التقيت بهم : وزير الشئون الدينية والتعليم الأسمى بالجزائر « مولود قاسم » ، ووزير الشئون الدينية في موريتانيا « أحمد ابن آل عمر » ، ووزير الأوقاف والشئون الإسلامية في المغرب « الناصرى المكي » والدكتور « عبد العزيز كامل » نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف في مصر ، وغيرهم من إخوانى المسؤولين عن الشئون الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية .

### ● ايمكن بعد مؤتمرى الرباط ولاهور أن نقول : ان هناك قوة اسلامية ، ذات شخصية مستقلة ، وأهداف مشتركة ، بدأت تظهر على المسرح الدولي ؟

— الحقيقة ان هذا التجمع الاسلامى الذى تمثل في مؤتمر القمة بلاهور ، أعطى العالم الاسلامى مميزات وملامح مستقلة ، كقوة مادية ومعنوية دولية ، لها عقيدتها الخاصة ، ولها رسالتها نحو الانسانية . وهى تملك المقومات المشتركة التي تربط بين أعضائها ، وتمكنها من متابعة مسيرتها ، وتحديد موقفها من الصراع الحضارى الدائر في عالم اليوم .

والأمل كبير في أن هذا التجمع الاسلامى ، سيكون له ما بعده من مظاهر الوحدة والتضامن بين أعضاء خير أمة أخرجت للناس ، حتى يعود المسلمون — بأذن الله — الى مكان القيادة من جديد ، فينفذوا المدنية الحديثة من هاوية السقوط الأخلاقى ، وعبادة المادة ، واستعباد الانسان لأخيه الانسان . وما ذلك على الله ببعيد !!

### اضواء اخيرة على المؤتمر :

إن التقويم الموضوعى لمؤتمر لاهور يوجب نظرة شمولية الى النتائج القريبة والبعيدة التي أسفر عنها المؤتمر .

وفى يقينى ان القرارات التى انتهى اليها المؤتمر ، لا تعدو ان تكون جزءا محدودا من آثاره البعيدة المدى في قضية التضامن الاسلامى ، والنهضة الاسلامية .

والمتتبع لحركة المؤتمر الدائبة خلال أيامه الثلاثة ، يلاحظ التفاعل والتلاحم بين أعضاء الجسم الاسلامى ، الذى اجتهد الاعداء في تميزقه وتشتيته ، فهنا

وهناك لقاءات ، ومباحثات « واتصالات جانبية » ، « ومساع حميدة » ومحاولات جادة لإزالة الخلافات الطارئة المصطنعة التي تراكمت بفعل المخطط الاستعماري والتدخلات الأجنبية .

— ولقد أثّرت خلال الجلسات قضايا حيوية ، يعتبر مجرد إثارتها ، والتفكير فيها هذا التفكير الجدي ، وطرحها للحوار على النحو الذي طرحت به — عملاً إيجابياً في حد ذاته : ففضية المصرف الإسلامي ، والسوق الإسلامية المشتركة ، والالتزام بالدفاع عن أية دولة إسلامية يعتدى عليها ، وإنشاء جامعة إسلامية للتكنولوجيا ، وعدم السماح بنزول الطائرات الإسرائيلية في الأرض الإسلامية ، والانتقال بالتعاون الإسلامي من دائرة الشعارات إلى دائرة التنفيذ الفعلي عن طريق التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية بعضها البعض .

... هذه القضايا الحيوية التي طرحت في لاهور على مائدة الحوار ، وأخذت طريقها الهادئ إلى لجان المؤتمر الإسلامي ، كانت منذ سنوات قريبة حلها ، لا يكاد يصل إليه الخيال .

— وظاهرة أخرى جديرة بالنظر ، فإن المجموعة العربية ، قد ظهرت خلال المؤتمر كمجموعة متماسكة قوية ملتزمة جديرة بأن تعود إلى قيادة العالم الإسلامي من جديد .

— ومع أننا كنا نأمل في حضور قادة « أندونيسيا وإيران وتركيا ، شخصياً ، لأن ذلك كان من شأنه إبراز « التضامن الإسلامي » على نحو أقوى ، إلا أننا نعتقد أن ظاهرة التضامن الإسلامي في طريقها إلى أن تصبح ظاهرة عامة ، لا توقفها عوارض جزئية طارئة !!

— لقد أعلنت مقدمة البيان الختامي للمؤتمر ، أن ملوك ورؤساء الدول والحكومات وممثلي البلاد والمنظمات الإسلامية يعربون عن :

- « إيمانهم بأن دينهم المشترك إنما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم » .
- « ويقينهم بأن للبلاد الإسلامية دوراً رئيسياً في الكفاح من أجل التقدم الجماعي وخلق نظام عالمي يقوم على العدل والإنصاف » .
- « وتصميمهم على صون التضامن بين الدول الإسلامية وتنميته » ..

— إن هذه الروح الجديدة التي عبّرت عنها مقدمة البيان الختامي للمؤتمر هي أبرز « المنطلقات » التي تهم حركة التاريخ ، لأنها الإعلان عن انطلاق « الإرادة الإسلامية » و « التضامن الإسلامي » و « الروح الإسلامية » القادرة على قهر التحديات ، وصنع الحضارة ، وإعادة بناء الإنسان المسلم والإنسانية المسلمة .

عبد الحليم عويس

# مائة الفاربي

(( ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجدوا الله توابا رحيما )) •

— قرآن كريم —

والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا  
نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من اهل النار •  
— حديث شريف —

## الايان طمانينة

مر ابراهيم بن ادهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن ، فقال  
له :

ايها الرجل انى سائلك عن ثلاث ، ما جئنى عنها • فقال الرجل : نعم

قال : ايجرى فى هذا الكون شىء لا يريد الله ؟ قال : كلا • قال :

افينقص من رزقك شىء قدره الله لك ؟ قال : كلا • قال : أفينقص من

اجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا • قال ابراهيم : فسلام

الهم اذن •

### نساء الانتصار

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ما رايت أفضل من نساء الانتصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا أيمانا بالتنزيل .. لما نزلت فسى سورة النور : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم منها ، يتلو الرجل على امراته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وأيمانا بما أنزل الله من كتاب فاصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتهن على رعوسهن الغربان .

### أجير أو أمير

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان فقال : السلام عليك أيها الاجير فاستنكر ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له : قل السلام عليك أيها الأمير ، فاعساد السلام عليك أيها الاجير ، قالوا : بل قل أيها الأمير ، فأصر على قوله وهنا طعن معاوية الى قصده ، وقال : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول . فقال أبو مسلم : انما أنت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها ، وجبست أولاهها على أخراها فمأك سيدها أجرك وان أنت لم تفعل فمأك سيديك ..

### جائزة وعقوبة

مثل رجل بين يدي المنصور ، ورمى بأبرة ، ففرزت في الحائط ، ثم اخذ يرمى واحدة بعد الأخرى ، فكانت كل أبرة تدخل في ثقب سواها حتى بلغ عدد الأبر مائة ، فاعجب المنصور به ، وأمر له بمائة دينار وحكم عليه بمائة جلدة ، فارتاع الرجل وسأل عن السبب ، فقال له المنصور :

أما الدنانير فلبراعتك ، وأما الجلادات فلأصاعتك الوقت فيما لا ينفع .



### الشيخ عبد الحميد السائح

ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حدث من الأحداث العالمية ، التي غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها الأثر الأكبر ، فيما حدث بعد ذلك ، من تغييرات جوهرية في الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم في الأقطار والأمصار ، التي وصل إليها الإسلام بدعوته الخيرة ، وأخلاقه العظيمة ، التي كانت تتمثل في تطبيق المسلمين أحكام الإسلام في معاملاتهم وتصرفاتهم ، وكان رسل الإسلام ومبعوثوه وتجار المسلمين مرآة للإسلام سلوكا وصفاء ، وعدلا ووفاء ، فجذبوا غيرهم إليهم ، وانتشر الإسلام في أنحاء المعمورة .

ولكن هل وفى المسلمون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقوا أيدي سباً ، وأصبح كل فريق يناوىء الآخر ، ويخطط لقهره أو التغلب عليه ، وشاعت العصبية بثوب الحزبية ، والمبادئ المستوردة ، وأصبح كل جماعة يتنادون لما يلتقون حوله من آراء ، ولو عارضت الإسلام في مخططاته ومعتقداته ، وقد نحى الإسلام عن الحكم والتشريع ، وأبعد القرآن عن العمل والتطبيق ، وهجر الإسلام في دواوين الدولة ، ومجتمعات الأمة ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، واكتفينا من ذلك كله بالمظاهر ، وأغرقتنا في البعد عن الجواهر ، مع أن هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (١) ، والله تعالى يقول : ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ) (٢) .



وقد أرسل الله هذا الرسول العظيم رحمة للعالمين ، ينقذهم من جهالاتهم وضلالاتهم ويصرفهم عن عصبيتهم وأهوائهم ، ويجعلهم مثال العدالة والاستقامة ، قال تعالى : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ( ٣ ) .

وقال سبحانه : ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) ( ٤ ) .

يا مسلمون : هذا الرسول الأعظم نعمة الله عليكم فلا تكفروها ، وهبة الله اليكم فلا تجحدوها ، ومصدر كل خير فاجعلوه قدوتكم وإمامكم ، وليكن الحكام السابقين ، حتى يتبعهم المحكومون ، ولتعم خيرات هذا الرسول صلى الله عليه وسلم البيت والمدرسة والشارع وكل المجتمعات ، تغترف من هديه وتستنير بتعاليمه حتى تصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، بشريعة الله عاملين ، ولهدى الرسول مطبقين ، ( قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا إن الله غفور رحيم . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ) ( ٥ ) .

وحينئذ يتسابق المؤمنون فى ميادين البر والخير والعمل الصالح ، وجهاد الأعداء والحفاظ على كرامة المؤمنين ومقدسات المسلمين ، فى سبيل إرضاء الله والرسول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( عند الله خزان الخير والشر ، مفاتيحها الرجال ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير ) ( ٦ ) .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( أعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأتلام وجفت الصحف ) : رواه الترمذى ، وفى رواية غير الترمذى . احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا ) ( ٧ ) .

فهذه الهداية النبوية وأمثالها هى التى دفعت أصحاب رسول الله الى ميادين القتال والشهادة دفاعا عن الاسلام وزيادا عن حياضه وطمعا فى رحمة الله ورضوانه ، وهذه المبادئ هى التى كان المسلمون يتسابقون ويتنافسون فى تطبيقها ، ورسول الله قدوتهم وسيد البشر امامهم ، يعتبرون أموالهم حقا لله وأنفسهم وقفا على رضا الله ، يبذلون كل ذلك حرصا على طاعة الرسول

ورضاه ( من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم  
حفيظا ) ( ٨ ) .

وكان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون من بعدهم  
يدفنون كل عصبية أو تجمع لا يرضى رسول الله ، وكل مبداً يسبب سخطاً  
لرسول الله ، لا يحبون الا فى الله ، ومن أجله ، ولا يبغضون الا فى الله ومن  
أجل الله ، سائرهم على درب الرسول فى اعتبار القرآن امامهم وقبلتهم ،  
يتعبدون بتلاوة آياته وتدبرها ، وتنفيذ احكامه ، وتطبيق تعاليمه ، فكونوا  
تلك الجماعة الاسلامية المجتدة لخير البشرية والمتماسكة فى سبيل دفع الأذى  
والشر ونصر المظلوم وردع الظالم والتضحية من أجل كل ذلك بالنفس والنفس  
متمثلين بقوله سبحانه : ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم  
وانتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين . وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا  
بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ) ( ٩ ) .

وقوله سبحانه : ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم  
الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة  
والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به  
وذلك هو الفوز العظيم ) ( ١٠ ) .

### الموقف فى ساعة العسرة

ولما وقع المسلمون فى ضائقة وشدة يوم تبوك ودعا الرسول اصحابه  
الى البذل والسخاء انقاذاً للإسلام والمسلمين من شر الطغاة والمعتدين تسابق  
اصحاب رسول الله وتنافسوا في بذل أبو بكر كل ماله ، وبذل عمر نصف ماله  
وبذل عثمان الكثير الكثير فى تجهيز الجيش واعداً له كما بذل الآخرون من  
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### موقفه من المتخلفين

وقد تخلف عن اجابة النداء عدد من اصحاب الرسول منهم كعب بن مالك  
وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، وليس لهم عذر فى هذا التخلف فقرر الرسول  
مقاطعتهم ومنع الناس من كلامهم وقد جاءت زوجة أحدهم تستأذن الرسول  
فى خدمته وهو شيخ طاعن ليس له من يعينه فأذن لها فى خدمته على  
أن لا يقربها ، واستمروا على ذلك خمسين ليلة ، وهم فى أشد حالات الضنك  
والضيق الى أن نزلت توبتهم من السماء ، فرأى كعب أن من تمام توبته أن  
يخرج عن ماله صدقة الى الله ورسوله .

وانزل الله تعالى على رسوله : ( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأتصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) ( ١ ) .

فكان هذا الموقف درسا لكل من يتخلف عن مسابرة الجماعة والمساهمة في عمل الخير والجهاد بالنفس والمال خصوصا في أوقات الشدة والضائقة التي تصادف المسلمين ( ١٢ ) .

### العبرة في هذه الذكرى

على المسلمين حيثما وجدوا أن يراجعوا أنفسهم ويفكروا في ما أصابهم في فلسطين وغير فلسطين وما يمكن أن يتهدد بهم من أخطار ويتعرضوا له من بالغ الأضرار إذا هم تخلفوا عن الاستمرار في البذل والسخاء والتخلى عن الأهواء والأطماع ويذكروا أن للمسلمين قوة لا تبارى ولديهم من الإمكانيات المتعددة ما يحمل أية جهة على التفكير عدة مرات قبل التخطيط لمعاداتهم وإهمال شأنهم لو أنهم على درب الرسول سائرون ولدعوة محمد مننفذون ولشريعته مطبقون .

فواجب عليهم أن يعملوا جديا على استلزام شريعة الرسول وتطبيق أحكامها في قوانينهم والتقييد بحدودها في كل تصرفاتهم ويحرصوا على ديار الإسلام غير مغرطين في أي جزء منها خصوصا إذا ارتبطت بعقيدتهم الدينية وحضارتهم الإسلامية ويحزموا أمرهم على أن لا يفرطوا في القدس الشريف أو غير القدس من الديار المنهوبة المعتدى عليها ، وإذا اعتصبوا بحبل الله وأذعنوا لأمر الله ، وكان هدفهم رضا الله ورضا رسول الله فانهم وأصلون لما يعيد اليهم عزتهم وكرامتهم وديارهم « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ( ١٣ ) .

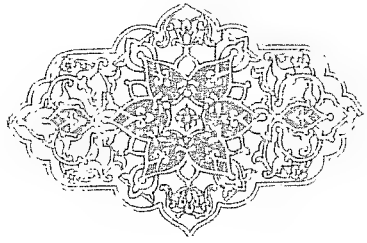
### أيها المسلمون :

في ذكرى مولد الرسول	اذكروا جهاد الرسول وأصحاب الرسول
في ذكرى مولد الرسول	اذكروا تضحيات الرسول وأصحاب الرسول
في ذكرى مولد الرسول	اذكروا مسفحات سيرة الرسول وأصحاب الرسول
في ذكرى مولد الرسول	اذكروا غزوات الرسول ومواقف أصحاب الرسول

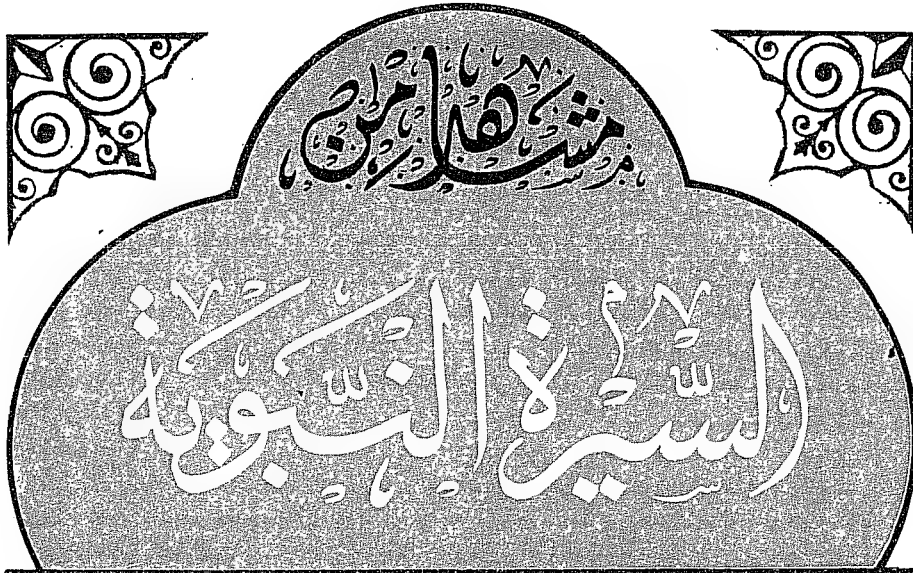
فى ذكرى مولد الرسول اذكروا ما من الله على الرسول واصحاب  
الرسول من النصر المبين والاعزاز والتكريم

اذكروا كل هذا للائتساء والافتداء بالرسول واصحاب الرسول لتمسود  
لكم قوتكم وبها بكم اعداؤكم وتقفوا فى الذروة بين الأمم ، وحينئذ يرضى عنكم  
الرسول فى ذكرى مولده وتحققون ما هدف اليه الرسول فى قوله صلى  
الله عليه وسلم :

( المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ) ( ١٤ ) .



- 
- (١) الامام مسلم .
  - (٢) الآية ٢٧ من سورة الحج .
  - (٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .
  - (٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .
  - (٥) الايتان ١٤ و ١٥ من سورة الحجرات .
  - (٦) الطبرانى ، الحديث ١١٥٠ من كتاب قيس بن ثور محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور  
محمد فايز المط .
  - (٧) جامع الملووم والحكم لابن رجب الحنبلى هـ ١٦٠ ، ١٦١ .
  - (٨) الآية ٨٠ من سورة النساء .
  - (٩) الايتان ١٩٤ و ١٩٥ من سورة البقرة .
  - (١٠) الآية ١١١ من سورة التوبة .
  - (١١) الايات ١١٧ - ١١٩ من سورة التوبة .
  - (١٢) مختصر زاد المساد هـ ٣٥٨ .
  - (١٣) الآية ٧ من سورة محمد .
  - (١٤) الامام مسلم .



للاستاذ : محمد الجنوب

— ١ —

(( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ونكر الله كثيراً )) .

وردت هذه الآية الكريمة أثناء القسم الأول من سورة الأحزاب ، التي نزلت في أعقاب غزوة الخندق ، وكانت ضرباً عالياً من الامتحان ، كشف مخبات النفوس ، وميز كل صنف من سكان المدينة بلونه وخصائصه .. فكان هناك المؤمنون الذين ابتلوا وزلزلوا فلم تزددهم الشدة الا صفاء وتألفاً ، وكان هناك المنافقون ، الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا كتمان ما انطوت عليه أنفسهم ، فاذا هم يصارحون بالعداء والشتم والتكذيب ، وكان هناك أيضاً اليهود ، الذين استهوتهم الفتنة فنكروا أيمانهم ، وانسلخوا من الذي وقعوه مع رسول الله ، وتهينوا للأجهاز على المؤمنين من وراء وراء ..

ونظرة واعية الى سياق الآية ما تقدمها وأعقبها من وصف لظروف الغزوة ، كيف بدأت وكيف انتهت ، توضح بصورة قاطعة أن تدبيراً ربانياً حكيماً قد تولى تنسيق الوقائع ، ويسر لكل جزء منها سببه الممهد لخاتمته .. لتتمايز الوجوه فيحيا من حي عن بيعة ، ويهلك من هلك عن بيعة .. ولتتجلى للمؤمنين ، فيما بعد وحتى تقوم الساعة ، طريق العزة والنصر لاجبة بارزة ، لا يزيف عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الكافرين ..

ومع أن السورة قد عتوت باسم ( الأحزاب ) لم يستغرق حديث الفزوة منها سوى أقل من ربعها . أما ما قبل ذلك وما بعده فينصب على ترسيخ المبادئ الأساسية التي يجب أن ينهض عليها المجتمع المسلم . يبدأ ذلك بشخص الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، وبأهل بيته المطهر ، وبيان الصلة الوثقى التي يجب أن تربط الأمة به وبهم . ثم الوثائق الروحية التي تؤلف بين قلوب أهل الإيمان . ومن ثم تسلط الأضواء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوي ، لتكشف مؤامراتها عليه . فإذا ما استوفيت آيات الفزوة عرض الأحداث القتالية ، عادت إلى أتمام ما بدأت من رفع ركانز التنظيم ، وفي طليعته تحصين البيت النبوي بكل ما يجمعه صالحا لأعطاء القدوة العليا . ثم تمضى الآيات في توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الإسلامي بأسره . . . . . مجهزة أثناء ذلك على رواسب من تقاليد الجاهلية ، التي لا تتفق مع أهداف الإسلام ، ومعمقة لجذور الاعتصام بقيادة الرسول وطاعته ، انسجاما مع الإدارة الربانية ، التي تعلن رضاها عنه بصلاة الله وملائكته والصالحين من عباده عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وموجهة عناية كبيرة إلى تأكيد سلامة البيت المسلم وحياطته بكل الآداب التي تجعل منه مثالا أعلى للمجتمع السعيد النظيف . . . . . حتى ينتهي المطاف بمصابير كل من المهتدين والنصاليين ، مع التوكيد على ما بدأت به السورة من أمر بالتقوى ، والتزام سبيل المؤمنين ، والحفاظ على أمانة الله بالطاعات المؤدية إلى مغفرتهم ورضوانه .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، هي نفسه وفي بيته وسلوكه في معالجة القضايا الإنسانية ، هي النواة التي حولها تتحرك محاور السورة كلها . .

إنه المجتمع المسلم المتميز بخصائصه الربانية ، من الإيمان بالله ، والتطلع إلى ما وراء الحياة الدنياه ، والاستحضار الدائم لجلال الله . . . . . ذلك المجتمع الذي عرف سبيله واضحا على خطى النموذج البشري الاسمي ، الذي اصطفاه الله قائدا لعباده ، وقرن مرضاته بالتزامه فقال : ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) وقد أنشأ على عينه فلم يزل يترقى في آفاق الكمال حتى استحق أن يقول له : ( وأنت لعلى خلق عظيم ) وأن يوجه المجتمع الإيمانى إلى الاقتداء به في كل تصرفاته ، قائلا على سبيل القطع والاستمرار ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . . . )

ومن أوائل البدهيات الأسبيل إلى تحقيق الأسوة الا باقتفاء آثار المعنى بها ، ومعنى ذلك بالنسبة إلى المسلمين أن يكونوا على علم بسيرة المثل الكامل ، الذي أخذ عليهم العهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق السمع والطاعة بشهادة التوحيد ، ومن هنا كان العلم بسيرته صلوات الله وسلامه عليه واجبا

بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة ، إذ لا مندوحة للمسلم من تعرف المثل التطبيقي لحقائق الإسلام ، وتحليله في صورة بشرية تعين واقع الحياة ، وتعامل أحداثها على ضوء من هذه الحقائق .

ولا حاجة الى التذكير بان اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من اصول الاسلام ، هو الذي قذف بالامة في ظلمات الضياع والتخلف ، لانه قطع ما بينها وبين نبيها من وشائج المعرفة وعلائق الاسوة . . وهو انفصام واسع المدى يستوى في تبعاته عامة المسلمين ، والجيل الذي امنتصته الثقافة الغربية وعلى رأسه فئة المزودين بمركب الجهالة العمياء لدينهم . . وانما جاء استواء الفريقين في مسئولية هذا الانفصام ، من حيث التقاؤهما على مجافاة الحقيقة الممنلة في شخصيته صلوات الله وسلامه عليه . فاذا كان المستغربون من أبناء المسلمين قد أفسد المكر اليهودي فطرتهم ، حتى لم يعودوا يعلمون عن هذا النبي العظيم الا ما لقتوه من أعدائه ، فان فطرة العامة قد شوهتها أيضا شعوزات المنحرفين ، فهم لا يحملون عن شخصية الرسول الا بعض الصور اللقائمية ، التي لا تكاد تتصل بحقائق الحياة . . ولا يكادون يتصلون هم بها الا في حفلات الموالد ، التي استحالت في الغالب ألوانا من اللهو واللقو لا تهب المجتمعين عليها أي مردود صالح . .

واذا كان للأسوة الحسنة كل هذا الأثر البناء ، فلا بد من العلم الحاسم بان كل محاولة لاستردادها ، ورد المسلمين إليها ، سيكون نصيبها الاخفاق الذريع ، اذا لم تقم على أساس الفهم السليم لحياة الرسول الكريم ، من خلال الكتاب الحكيم ، والسيرة الصحيحة . .

وهذا ما حداني اليوم للوقوف عند بعض المشاهد من خلال السيرة المطهرة . . يقينا مني بانها خير ما نستقبل به ذكرى اشراقته صلوات الله عليه وسلامه على هذا العالم النائه . .

لما أحس مشركو قريش فشوا الاسلام ، ونجاة المهاجرين الى الحبشة من أذاهم ، وما نال رسول الله من القوة باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما ، عمدوا الى سلاح جديد من صنع الشيطان ، هو المقاطعة الشاملة لكل من يقف الى جانبه من بنى هاشم وبنى المطلب . . وكتبوا بذلك الصحيفة المعروفة . ومضت القطيعة الى غايتها قرابة الثلاث السنوات لقي المسلمون خلالها أفانين البلاء . . ولكن هذا لم يقل من دأب رسول الله في عرض دعوة الله على الناس ، ولا سيما الوافدين الى مكة من أرجاء الجزيرة ، على كثرة ما واجه من أذى الطواغيت ، الذين استخدموا كبير نفوذهم للحيلولة بينه وبينهم ، وظل على شأنه من الطواف والتعمد في المسجد الحرام متحديا بذلك جبابرة قريش ، ثقة بموعد الله الذي أمره بالتبليغ ، ويشره بالعصمة من الناس .

- ٢ -

ونزل الموت بابى طالب ، ثم تلقه الزوجة الوفية الخالدة خديجة رضى الله عنها خلال أيام .. وبذلك حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناحين اللذين طالما أظلاه بالعمون والحب ، وتجراً عليه من لم يكن يطمع بذلك من قبل ، حتى ليعترضه أحد السفهاء فينثر على رأسه التراب ، ولما جاءت إحدى بناته تفسل رأسه جعلت تكي فيهدى من روعها بقوله : (( لا تبكى يا بنية ، فإن الله مانع أباك )) ..

ويقادر مكة بحثاً عن أنصار للدعوة فى الطائف .. بيد أنه يعود باشد من الأذى الذى لقيه من قريش ، حتى أن كبارها ليفرون به السفهاء والعبيد يسبونونه ويصيحون به ، الى أن الحنوء الى حائط لاثنين من ألد أعدائه .. فلم يزد على أن يرفع الى ربه هذه النفحات الماتجة بعبير الرضى عن قضائه : (( اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى )) ..

- ٣ -

وفى أحد تضيق الدنيا بالمسلمين وهم يستمعون الى النبا الصاعد بمقتل رسول الله ﷺ فيطيش وعى الكثرة منهم ، حتى ليغفلون عن أزمة النصر التى قبضوا عليها ، ويهيمون على وجوههم تتقاذفهم الارض هنا وهناك ... ولكن رسول الله يثبت فى وجه الدفق المنصب عليه من العدو كانه الجبل الاثتم بازاء العواصف .. تزهو عيناه من خلال المفقر ، وينظر الى البقية القليلة من صحابته يشجعهم وهو يتسم ، فكان الشاعر لم يعن سواه عندما قال وهو يغالى فى وصف بطله :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف  
كانك فى جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة  
ووجهك وضاح وثغرك باسم

- ٤ -

وفى مرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه من غزوة ذات الرقاع نزل بصحبته فى أحد الاودية ، واتخذ مقبله فى ظل سمرة بعد أن علق بها سيفه .. وبينما هو غارق فى نومه أقبل أعرابى من الفتاك فاخذه فاستله . واستيقظ رسول الله ليرى الاعرابى وقد استعد للجريمة ، وتملكه الزهو



فجعل يهرّ السيف بوجهه وهو يقول : من يملك منى ؟! وفي وقار النبوة الذي لا يعرف الخوف من بشر أجاب : يهتني الله .. وسرعان ما سرت الرعدة في أوصال الرجل حتى سقط السيف من يده ، فياخذه الرسول ويقبل الصحابة ليروا الفاتك وقد أخذ الروع ، وجلس بين يديه صلى الله عليه وسلم يترقب قضاء العدل .. ولكنه صلوات الله عليه وسلامه بأبي أن يكون إلا حيث وضعه ربه فوق الانتقام الشخصي ، فرد للمرتاع أمه ، ومنحه الحياة والحرية وكان لهذا الفضل مردوده في نفوس القوم الذين أدركوا أن الذي يجهدون للايقاع به هو في حماية الله ، وفوق المألوف من خيار عباده .

— ٥ —

وفي وادي حنين فوجئت كتائب الله بكائن هوازن تنحدر عليها من جانبيه فتأخذ الفجاءة عيون المؤمنين ، فإذا هم ينتشرون باحثين عن منافذ النجاة . ولا يمالك بعض الطلقاء ، الذين لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم بعد ، فيعلن فرحته بما توقعه هزيمة ساحقة للإسلام ، ويصرح آخر : ألا بطل الساحر اليوم ..

وثبت مع رسول الله نفر من المهاجرين والانصار ومن أهل بيته ، ممن كان على مقربة منه اثناء الجولة ، فلم تنل منهم الصدمة المفاجئة .. وجعل رسول الله يتقدم في نحر العدو وهو يرتجز :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ويهيب بالمسلمين الشاردين : أين أيها الناس ؟ .. هلموا الى .. أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ..

ويوعز الى العباس عمه أن أصرخ : يا معشر الانصار .. يا معشر اصحاب السمره ... فتتردد اجاباتهم : لبيك .. لبيك .. وينتهي اليه بعد لأي مئة منهم ، لا تلبث أن تقتحم غمرات الموت بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .. وما هي الا صولة حتى سقطت راية المشركين ، وتلاحق المؤمنون عائدين الى نبيهم ليجدوا أسارى هوازن مكتفين عنده وقد كفى الله المؤمنين القتال ..

وفي حميم المعركة يبصر صلى الله عليه وسلم بالصحابة الحليّة بنت ملحان قائمة على جمل زوجها أبي طلحة رضى الله عنه وقد أخذ منها الفضب لانفصاض الناس من حوله فتقول له : بابي أنت وأمي يا رسول الله .. أقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك .. ولكنه لا يجاريها في غضبها على أصحابه بل يقول لها : ان الله قد كفى واحسن يا أم سليم ..

وكان رسول الله عائداً بالمؤمنين من تبوك ، حتى اذا وافى منى انفرد عن الجيش بناقته ، يقودها حذيفة ويسوقها عمار رضى الله عنهما ، فما ان وافى العقبة حتى فوجيء باثنى عشر ملثما يعترضون مسيرته ، ويريدون أن يزحموه للقضاء عليه ، فلما انتبه اليهم صرخ بهم ، فأوقع الله فى قلوبهم الرعب وولوا هاربين .

ويقترح رفيقاه الجليلان أن يبعث رسول الله الى عشائر هؤلاء المنافقين بأمرهم ليقتلوهم ويأتوه برؤوسهم ... ولكنه يرفض ذلك الراى قائلا : لا .. أكره أن تتحدث العرب أن محمداً قاتل بالقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ! ..

ولم يكف صلوات الله وسلامه عليه بالسكوت عن المتأمرين ، بل أعلن لصاحبيه أسمائهم وأخذ عليهم العهد بكتماها .. حتى كان الصحابة يطلقون على حذيفة بعد أخيه عمار رضى الله عنهما « صاحب السر الذى لا يعلمه غيره .. »

ولاجرم أن مثل أولئك الغادرين جديرون بحكم الموت ، ولكن حكمة رسول الله أبعد رؤية من تفكير صاحبيه ، لأن الإعراض عنهم أعود بالخير على الدعوة من أخذهم بالعقوبة . هذا الى أن القاصين من الناس الذين لم يخطوا أنه ضرب من الاحتياط لحماية السلطة ممن تخشى معارضته إياها ، على طريقة الطفاة الذين ما أن ييلفوا غايتهم من التسلط حتى يفرغوا لتصفية شركائهم فيه ! ..

وفتح الله على رسوله مكة ، فدخلها منتصرا عزيزا ، مطلق التصرف فى أهلها وأرضها ، ولكن ذلك لم يزد الا تواضعا لربه وخشوعا لجلاله ، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة رجله تذلا لله ... فكان فعله هذا درساً خالداً للفاتحين من أمته ، تعلموا منه كيف يتلقون نصر الله بمزيد من التواضع والانكسار لعظمته سبحانه .. بخلاف الجبارين من أهل الجاهلية الاولى والآخره ، الذين يستقبلون كل نجاح يحرزونه بمزيد من الطغيان .

وفى المسجد الحرام يحتشد أعداء رسول الله ، الذين أخرجوه من أحب أرض الله اليه ، وقد استحوذ عليهم الهول ، وجضرهم كل ما اقترفوه فى حقه وحق أصحابه من سوابق العدوان ، ولبثوا ينتظرون عاقبة ما جنت أيديهم والسنتهم .

ويتشرف رسول الله من على باب الكعبة ، التي طالما دنسوها بأرجاس  
الشرك والبغى ، فيحمد الله ويمجده ثم يقول : « يا معشر قريشى .. لا تتربص  
عليكم اليوم .. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء » ..

## - ٨ -

ويستأثر الله بأبراهيم ابن رسوله ، وقد رزقه على شوق الى الولد ،  
وتقارب من أواخر العمر .. ويشاء ربه جلت حكمته أن يوافق ذلك موعد  
كسوف الشمس .. فتسير الظنون فى الناس أن الله قد كشفها تكريما لنبيه ،  
فما يكاد يعلم خبر ذلك حتى يدعو الناس الى صلاة جامعة ، يعلمهم بها ( أن  
الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ) وأن  
عليهم إذا واجهوا مثل هذه التغيرات الكونية أن يجددوا صلتهم به سبحانه ،  
فيسقبلوها بالصلاة والذكر .. فتكون تلك الظاهرة الفلكية مناسبة صالحة  
لتعميق شعور المسلمين بفضل ربهم وعظيم رعايته وحكمته ..

## - ٩ -

وذات يوم تضل ناقته صلى الله عليه وسلم أثناء عودته من تبوك ،  
وينطلق بعض صحابته للبحث عنها . فينتهزها المنافق اليهودى ابن اللصيت  
فرصة للغمز من رسول الله ، حتى ليقول : اليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم  
خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته !! ..

وتبلغ مقالة الخبيث رسول الله فلا تثيره ولا تاخذه الحمية ، بل لا يزيد  
على أن يقول : « انى والله ما أعلم الا ما علمنى الله .. وقد دلتنى عليها ،  
وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها .. »



وبعد .. فتلك مشاهد خاطفة من سيرة الهادى الامين صلوات الله  
وسلامه عليه ، تعرض بعض جوانب العظمة من حياة هذا القائد الذى أبه ربه  
فاحسن تاديبه ، وزوده من الكمالات بالنخر الذى لم يجتمع لسواه من خلقه ، ثم  
قدمه الى الانسانية مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا .  
وهيئات للانسان أن يعرف طريقه للاستقرار ما لم يتخذ منه الاسوة الحسنة فى  
كل ما يأتى وما يذر ، ويجتنب مخالفته فى كل ما نهى عنه أو زجر .  
فاللهم ردنا الى حماه ، ووفقنا الى اقتفاء خطاه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد  
إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب .

# الاسلام

## ومعاملة الاسرى

الدكتور احمد الشرباصى

نشرت الصحف أخبار جريمة خسيصة لجأ اليها الصهاينة اللئام ، للاعتداء على كرامة البشرية ، وللاستخفاف بالحقوق الانسانية ، وهى أن بعض أطبائهم سمحت لهم دناعتهم أن يقوموا بعمليات جراحية ، ينقلون فيها أجزاء من أجسام بعض الجرحى الأسرى لديهم ، الى أفراد منهم يحتاجون الى هذه الاعضاء .

وقد ذكرتنا هذه الجريمة بما جاء فى بعض كتبهم المقدسة — فى نظرهم — من أن القائد اذا انتصر على مدينة واحتلها ، فعليه أن يقتل جميع ذكورها بالسيف ، وأن يأخذ من فيها من النساء والاطفال والبهائم غنيمة له ، فقد جاء فى الاصحاح العشرين من كتاب التثنية هذه العبارة :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستعبد لك ، وان لم تسالك ، بل علمت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والاطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة اعدائك التى أعطاك الرب الهك » .

وهذه الدناءة ينبغى أن تذكرنا بفضل الاسلام العظيم على العالمين ، لانه صان كرامة الانسان من العدوان ، حتى قال رسول الله صلوات الله

وسلامه عليه : « الانسان بنيان الله ، ملمون من هدم بنيانه » ، ولأنه ضمن للأسرى حقوقا يجب أن تكون قدوة للمتحاربين أجمعين ، وهذه الحقوق يجب علينا أن نعيها ، وأن نعلنها ، ليستبين لكل عاقل أن فضل الاسلام على الانسانية عنوان فخر وتهجد : « صيغة الله ، ومن أحسن من الله صيغة ، ونحن له عابدون » ( البقرة ١٣٨ ) .

وإذا كانت اليهودية تدعو المنتصر الى قتل كل الأسرى من الرجال ، وإلى استعباد النساء والأطفال ، فإن القرآن الكريم يمنع هذا العدوان بعد انتصار الحق ، وكسب المعركة بحرب صارمة لا بد منها ، للمقابلة بالمثل ، ولرد العدوان وردع الطغيان ، فيقول القرآن : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا آتخنتهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء » ( محمد ٤ ) آتخنتهم : أوسعتهم قتلا وجرحا . وشدوا الوثاق : أحكموا قيد الأسرى منهم . ومنا : اطلاق الأسرى بلا مقابل .

وأعطى الاسلام الحق لولى المسلمين فى أن يعفو عن هؤلاء الأسرى ، إذا رأى المصلحة العامة فى ذلك . أو يأخذ منهم الفداء إذا احتاج المسلمون الى ذلك .

ونحن لا ينبغي لنا أن ننسى موقف العفو الرائع من النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد أن انتصر انتصاره الباهر فى فتح مكة ، حيث قال للمهزومين المدحورين من مشركى مكة : ما تظنون أنى فاعل بكم .. ؟ فقالوا فى طمع ورجاء : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وعفا عنهم ، وقد كان قادرا على أن يعمل فيهم السيف كما تردد كتب اليهود .

وعلم النبى اتباعه أن الانتصار مع التمكن من الأسرى لا ينبغي أن يدفعهم الى الاسراف فى أسالة الدماء ، بل وذكرهم بالانسانية وحقوقها المشتركة ، فقال لهم فى شأن الأسرى الأرقاء : « ان الله تعالى ملككم ايهاهم ، ولو شاء للكم ايكم » .

وقرر أن من سيطر على أسير ، وأعطاه عهد الأمان على حياته ، فلا يجوز له أن يهدر عهد الأمان معه بعد ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام : « من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا برىء من القاتل » .

وروى تاريخ الاسلام ما كان من أمر ( الهرمزان — وهو أحد أكابر الفرس — وقد أسره أبو موسى الأشعري ، وبعث به الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الهرمزان ذكيا داهية ، فاعتصم بالصمت أمام الخليفة ، فقال له عمر : تكلم . فلم يتكلم ، فعاد عمر يقول له : تكلم لا بأس عليك ، وكان عمر يهيم بقتله لما ارتكبه ، فلما سمع الهرمزان كلمة عمر له : « لا بأس عليك » طلب ماء ليشرب ، فجاءوا له بالماء ، وأمسك بالماء وقال لعمر : أنا آمن حتى أشرب هذا الماء .. ؟ فقال له عمر : اشرب فلا بأس عليك .

فمسكب الهرمزان الماء على الأرض . وهنا قال أنسى لعمر : قد أمنت  
بقولك لا بأس عليك .  
فلم يستطع عمر أن يجسه بسوء ، خضوعا لما أعطاه إياه من أمان .  
واسلم الهرمزان بعد ذلك .

وزاد الإسلام في كرامته وسماحته مع الأسرى ، فأوجب الإسلام على  
المسلم أن يتفق على أسيره ، وأن يطعمه مما يأكل ، وأن يكسوه مما يلبس ،  
والأ يكلفه فوق طاقته في العمل . وها هو ذا القرآن المجيد يصف الأخيار  
الأبرار من عباد الرحمن فيقول عنهم في سورة الإنسان ٨ ، ٩ : « **ويطعمون  
الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد  
منكم جزاء ولا شكورا** » .

فالقرآن المجيد هنا يدعو المسلم إلى أن ينظر إلى الأسير نظرة العطف  
والرحمة ، لا نظرة التشفي والانتقام ، بعد أن صار أسيرا ضعيفا ، ولذلك  
عظفت الآية الكريمة ( الأسير ) على ( المسكين واليتيم ) ، وهما ممن  
يستحقون المعونة والاشفاق .

وقال معلم الإنسانية سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا  
الله في الضعيفين : المملوك والمرأة » . كما أن مما أوصى به قبل موته  
وصيته « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وحث الإسلام على الترفق بالرقيق حثا قويا بليغا حتى قال الرسول  
صلوات الله وسلامه عليه : « لقد أوصاني جبريل بالرفق بالرقيق حتى  
ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

وشجع الإسلام المسلم على أن يتفق وأسيره المملوك له على أن  
يكتبه ، والمكاتبة هو أن يتفق المالك والمملوك على أن يؤدي المملوك قدرا  
معيّنا من المال لملكه في زمن معين ، فإذا فعل المملوك ذلك صار حرا . يقول  
القرآن الكريم عن ذلك في سورة النور ٣٣ : « **والذين يبتغون الكتاب مما  
ملكتم فكتبواهم أن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** » .  
وبلغت سماحة الإسلام في معاملة الأسرى مبلغا نبيلًا كريما ، حيث  
منع التفريق في الأسرى بين الوالدة وولدها ، حتى لا يتعرض الولد للضياع  
والحرمان من جهة ، وحتى لا يتعرض الأم للقلق والخوف على ولدها من  
جهة أخرى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مهددا من يفعل ذلك أقوى  
تهديدا : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم  
القيامة » (١) .

وزاد الإسلام سماحة حين علم أبناءه أن يكونوا مؤدبين مهذبين حتى  
في خطاب هؤلاء الأسرى الأرقاء ، فقال الحديث الشريف : « لا يقل أحدكم :  
عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » فكان هؤلاء أفراد من أسرة ذلك المالك  
الأسير .

وإذا كان التاريخ قد شهد ويشهد محاولات كثيرة من المجرمين الأسرى لحمل الأسرى على ترك عقيدتهم ، بطريق العنف والاكراه ، أو التهديد والوعيد ، أو الاعتداء والتعذيب ، فإن الإسلام قد حرم هذا الاكراه ، وسد الباب في وجه هذا العدوان ، فقال القرآن الحكيم في سورة البقرة ٢٥٦ : « لا اكراه في الدين ، قد تبيين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » وجعل القرآن المجيد الهداية الى طريق الحق والنور ، من عمل الله الخالق البارئ المصور ، فقال عقب الآية الماضية : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وفى الوقت نفسه وجه القرآن الى ترغيب الأسرى الضالين عن الحق الشاردين عن طريق الصواب فى الاهتداء الى شريعة العدل والنور ليسعدوا ويفوزوا وتصير لهم كرامة الاسلام وحقوق المسلمين فقال الحق عز من قائل فى سورة الأنفال ( ٧٠ ) يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ، ويغفر لكم والله غفور رحيم . وفى الوقت نفسه حذر الله هؤلاء اللئام الأسرى أن يخدعوا أو يخونوا ، فقال عقب ذلك : « وأن يريدوا خيانتك فقد خاتوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم » ( الأنفال ٧١ ) .

وها هو ذا سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى هذا المجال « عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل » . وهو يريد بهذا — والله أعلم بمراده — أن من الأسرى المقيدى بالآغلال ، من يشرح الله صدره للإسلام فيسلم ، فيستحق رضوان الله عليه ، فيصير الى نعيم الجنة ، وقد كان قبل ذلك مقيداً بسلاسل الأسر والاسترقاق .

جاء فى كتاب « فتح البارى » لابن حجر : « قال : خير الناس للناس يأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام . قال ابن الجوزى : معناه أنهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الاسلام دخلوه طوعاً فدخلوا الجنة ، فكان الاكراه على الأسر والتقيد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الاكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب فى دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب .

وقال الطيبي : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذى يجذبه الحق من خلص من عباده من الضلالة الى الهدى ، ومن الهبوط فى مهاوى الطبيعية الى العروج للدرجات » ( ٢ ) .

وقد اتسعت ساحة الاسلام فى هذا المجال حتى شملت عبيد المشركين أنفسهم ، فقد كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتق عبيد المشركين ، إذا تركوهم ، وهاجروا الى المسلمين مهتدين ، وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يقول فى شأن هؤلاء الأرقاء : « هم عتقاء الله عز وجل » .



بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فإذا احتشم -  
فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » . رواه أحمد ومسلم . وللنسائي وابن  
ماجه وأبى داود نحوه .

الثاني عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ،  
والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى  
الآخذ والمعطى فيه سواء » . رواه أحمد والبخارى .

ولقد أجمع المسلمون على تحريم الربا فى الأشياء الستة المنصوص  
عليها ، وقال أهل الظاهر النافين للقياس أن الربا محصور فيها فقط ، وقال  
جمهور أهل القياس أنه يجرى فى غيرها وأنه متعدد منها الى سائر الأشياء  
التي تشاركها فى العلة ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلك العلة اختلفا لم يسبق  
له مثيل فى تاريخ الفقه الإسلامى .

قال أبو حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين عنه : العلة فى الذهب والفضة  
هى الوزن وبذلك أجريا الربا فى الحديد والرصاص والنحاس وغيرها من  
الموزونات ، وقال مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى : هى كونها  
جنس الأثمان فلا يتعدى الربا منهما الى غيرهما من الموزونات وغيرها  
لعدم المشاركة .

أما الأصناف الأربعة الباقية ، فإن الخلاف فى علتها كثير جدا بين  
المذاهب وفى داخل المذهب الواحد ، وسنكتفى بذكر أشهر الأقوال فيها .  
قالت الحنفية : هى الكيل ، وقالت المالكية : هى الاقتيات والادخار وما يصلح به  
الطعام المتقوت ، وقالت الشافعية : هى الطعمية ( بضم الطاء ) أى مجرد  
كون الشيء مطعوما ، وقال فريق من الحنابلة كقول الحنفية وقال بقيتهم كقول  
الشافعية . وقالت المعتزلة بمثل ما قالت الحنفية فى الأصناف الستة . وقال  
ربيعة : كل ما يجب فيه الزكاة يحرم فيه الربا فلا يجوز بيع بغير ببيعين .  
واتفق العلماء على أنه لا يجوز بيع الربوى بعضه ببعض متفاضلا سواء  
كان يدا بيد أو أحدهما مؤجلا ، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض إذا باعه  
بجنسه أو بغير جنسه مما يشركه فى العلة كالذهب بالفضة والبر بالشعير ،  
وعلى جواز بيع الربوى بربوى لا يشاركه فى العلة متفاضلا ومؤجلا كبيع  
الذهب بالحنطة وبيع الفضة بالشعير ، وعلى جواز التفاضل عند اختلاف  
الأجناس إذا كان يدا بيد كصاع تمر بصاع شعير .

ولقد أحصى ابن حزم الظاهرى فى باب البيوع من كتابه « المحلى »  
( الجزء الثامن ، ص ٤٦٧ - ٥١٨ ) جميع علل الفقهاء فى تحريم ربا الفضل  
وأفاض فى إيراد حججهم وتفنيدها بمنطق رصين شابه بمهاترات وددنا لو  
ترفع عنها .

وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما يعتقدان جواز بيع الجنس  
بعضه ببعض متفاضلا إذا كان يدا بيد ، وأن الربا لا يحرم فى شيء من الأشياء  
إلا إذا كان نسيئة أى مؤجلا ، وكان ستمدهما الحديث المتفق عليه عن أسامة  
ابن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : انمسا الربا فى



النسيئة . ثم رجما من قولهما هذا عندما بلغهما حديث النبي من التفاضل  
فى غير النسيئة . وذكر مسلم رجوعهما صريحا حين بلغهما حديث أبى سعيد  
الخدري رضى الله عنه وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر حديث  
أسامة ..

### ٣ — الجهود التى بذلت لحسم الخلاف :

نجد فى العصور الماضية وفى عصرنا هذا رجالا بذلوا مشكورين جهودا  
متواصلة لحسم الخلاف القائم حول العلة فى ربا الفضل ، ولكنهم لم يسلّموا  
أنفسهم من الخلاف . فمنهم الذين استصوبوا رأى أهل الظاهر حين رأوا  
ضعف العلل التى استنبطها الفقهاء علاوة على اضطرابها ، ومنهم المتشبهون  
برأى ابن عمر وابن عباس ومن تابعهما غير ملتفتين الى رجوعهما أو الى  
إجماع الأمة ، ومنهم من رجح إحدى العلل التى قال بها أحد الأئمة على ضوء  
الحكمة التى انكشفت له . وأشهر من سلك هذا الطريق أبو حامد الغزالي  
وابن رشد وابن قيم الجوزية رحمهم الله . فقال الأول ان الحكمة فى منع  
التفاضل بين جيد الصنف الواحد ورديئه هى إسقاط الشارع الحكيم غرض  
التنعم فى المطعومات لتكافؤ الجيد والرديء منها فى أصل الفائدة ، ومن هنا  
بدت له صحة علة الشافعى أى أن العلة فى الأصناف الأربعة كونها  
مطعومة . وقال الثانى هكذا : لما كانت الأشياء المكيلة أو الموزونة لا تختلف  
كل الاختلاف وكانت منافعها متقاربة ، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده  
منها صنف أن يستبدله بذلك الصنف بعينه إلا من جهة السرف كان العدل فى  
هذه الأشياء أن تباع بعضها ببعض متساوية فى الكيل أو الوزن اذ كانت لا  
تتفاوت فى المنافع ، ومن ثم ذهب الى ترجيح علة الحنفية فى الأصناف الستة  
أى كون هذه الأشياء موزونة أو مكيلة . والحقيقة أن عبارة ابن رشد فى  
فاية الغموض وما ذكرناه هنا هو غاية ما فهمناه منها . وقال ثالثهم ابن القيم  
الربا نوعان : جلى وهو ربا النسيئة الذى حرم قصدا ، وخفى وهو ربا  
الفضل الذى حرم وسيلة وسدا للمساك التى تقود الناس الى ربا النسيئة .  
وصرح ابن القيم بتصويبه لعله المالكية فى الأصناف الأربعة أى كونها أقوات  
الناس وما يصلحها .

ولقد ارتضى الباحثون المعاصرون قول ابن القيم فى حقيقة ربا الفضل ،  
ولكنهم لم يتابعوه فى ترجيح علة المالكية كما لم يحاولوا استصواب أى علة  
معلومة أو الكشف عن علة جديدة .

### ٤ — رأينا فى مسلك الفقهاء :

من السهل علينا أن نعبر عن رأينا فى منهج الفقهاء الذين وفقوا فى  
الكشف عن العلل المختلفة باستخدام اصطلاح شائع فى الرياضيات الحديثة .

اتفق علماء الرياضيات فى وقتنا هذا على اعطاء لفظة « مجموعة » أو « فئة » معنى أضيق مما عرفه الناس عامة ، فقالوا المجموعة أو الفئة عدد من الأشياء تشترك جميعها فى خاصية أو أكثر تميزها تميزا لا لبس فيه ولا غموض عن سائر الأشياء الأخرى . مثال ذلك لو تحدثنا عن مجموعة الأشياء التى أجمع المسلمون على تحريم الربا فيها فاننا نقصد الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولا شئ سواها حيث أن الخاصية المميزة لها عن سائر الأشياء هى تحريم الربا فيها بإجماع المسلمين ، وأما غيرها فلم يجمع المسلمون عليها . ويسمى الرياضيون الأشياء المكونة للمجموعة أى التى تحويها المجموعة أعضاء أو عناصر المجموعة ، فنقول على سبيل المثال الشعير عضو أو عنصر فى مجموعة الأشياء التى يجرى فيها الربا بالإجماع . وبهذا الاصطلاح السائد عند الرياضيين نقول ما يلى :

نلاحظ أن جميع الفقهاء درجوا على تقسيم الأشياء الستة التى خصها النبى صلى الله عليه وسلم إلى مجموعتين مستقلتين أو أكثر من ذلك . فنراهم وضعوا الذهب والفضة فى مجموعة منفصلة ، ثم عمدوا إلى الأربعة الباقية فتارة اعتبروها مجموعة واحدة ، ومرة جعلوها مجموعتين فوضعوا البر والشعير والتمر فى واحدة ، والملح فى أخرى ، وحينما وزعوها بين ثلاث مجموعات تشمل أولها البر والشعير ، والثانية التمر ، والثالثة الملح . وبعد هذا التوزيع أو ذاك نظروا إلى كل مجموعة كأنها ممثلة تمثيلا صادقا لمجموعة كبرى تتكون من عناصر تشترك جميعها فى صفة أو صفات تميزها عن بقية الأشياء ، ثم اعتبروا هذه الصفة أو تلك الصفات المميزة العلة المانعة للتفاضل فيها . ولعل هذه الطريقة التى اتبعوها فى تقسيم الأصناف المنصوص عليها هى من أهم العوامل التى حجبت الحقيقة التى انكشفت لنا وأدت إلى اختلاف وجهات النظر بينهم والله أعلم .

### • هل من علة جديدة ؟

إن الذى استرعى انتباهنا هو ذكر الشارع الحكيم للأشياء الستة من غير تفريق بينها ، فلذلك لاح لنا أنه ربما كان الأصوب أن ينظر إليها كعناصر فى مجموعة واحدة لا غير ، وأنها تشترك جميعا فى خاصية تميزها عن سائر الأشياء الأخرى . وبدا لنا أيضا أنه لو عثرنا على هذه الخاصية المميزة لاستطعنا أن نقول هى علة التحريم وأن الربا يجرى فى كل الأشياء التى تتوافر فيها هذه الخاصية .

وإذا استعرضنا الصفات التى يمكن أن تكون مشتركة بين جميع الأصناف الستة لظهر لنا أن الأمر الذى يستحق البحث هو احتمال استخدام البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية فتكون مشاركة للذهب والفضة فى أداء وظيفة النقود . فيجب علينا أولا أن نثبت أن الأصناف الأربعة كانت فعلا نقودا سلعية . وثانيا أن نبحث عن حكمة القيسود التى وضعها الشارع عند

التعامل بالربويات . وثالثا أن ننظر فيما يترتب على قولنا أن علة الريا في الاصناف الستة هي النقدية .

## ٦ - كيفية التعامل بالذهب والفضة في العهد النبوي :

يظهر لنا من وصف المقریزی لنقود الجاهلية وصدر الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس يتعاملون بالذهب والفضة وكان بعض هذين المعدنين مسكوكا وبعضهما تبرأ أي غير مسكوك . وكانت القطع المسكوكة التي ترد عادة من الروم والفرس تختلف في الوزن خاصة الدراهم من الفضة لذلك تواطأ الناس على صنع معلومات لوزن المعدنين وسموا زنة واحدة منها من الفضة مسكوكة كانت أو تبرأ : درهما ، كما سمو زنة صنجة أخرى من الذهب مسكوكا كان أو تبرأ : دينار . والثابت أنهم كانوا يرجعون دائما إلى الميزان لتقدير عدد الدراهم والدنانير ولا يعولون أبدا على عد القطع المسكوكة لاختلاف أوزانها .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أقر الناس على ما كانوا عليه ، وحسم ما قد ينشعب من نزاع عند الوزن بأن جعل صنج مكة الوحدات القياسية التي يجب أن يرجع إليها كما أمر بالرجوع إلى مكيال المدينة عند الاختلاف في الكيل بقوله صلى الله عليه وسلم : « المكيل مكيال أهل المدينة ، والوزن وزن أهل مكة » ( رواه أبو داود والنسائي والبخاري وصححه ابن حبان والدارقطني جميعهم عن ابن عمر . وفي رواية عن ابن عباس مكان ابن عمر ) . وقطع النبي صلى الله عليه وسلم مادة الخلاف حول نوعية الذهب عند التبادل بأن ساوى بين جميع أنواعه من مضروب ومنقوش وجيد ودرى وصحيح ومكسر وحلى وتبر وخالص ومفشوش ، وكذلك في الفضة . وبهذا الأمر الواضح الصريح أسقط الشارع الحكيم القيمة الذاتية للمعدنين دفعة واحدة وأصبح عليهما صفة التجانس اللازم توافرها في النقود المعدنية أو النقود السلعية لكي تكون مقياسا ثابتا للقيمة ، وبذلك استطاع الدرهم والدينار أن يؤديا الوظيفتين الرئيسيتين والثانويتين للنقود . أما الوظيفتان الرئيسيتان فهما : ( أ ) وسيط للمبادلة ( ب ) مقياس للقيمة ، وأما الوظيفتان الثانويتان فهما : ( ج ) مستودع للقيمة ( د ) مقياس للدفع المؤجل .

ولو لم يحرم النبي صلى الله عليه وسلم التفاضل في المعدن الواحد بسبب الاعتبارات النوعية ، ولو لم يأمر صلى الله عليه وسلم باستعمال وحدات قياسية معينة عند الوزن وهي صنج مكة لاستفاد من الوضع المضطرب أهل الغش الذين يعرفون جيدا خصائص المعادن والفروق بين الصنجات المختلفة ، وذلك لأنه في وسع الحاذق منهم أن يقتنع الناس بوجود تفاوت حقيقي أو متوهم في نقاء الكميات المتبادلة من الذهب أو الفضة فيأخذ منهم مقادير أكبر مقابل مقادير أقل بحجة أنه أعطى جيدا وأخذ رديئا بينما يعلم تماما أن القوة الشرائية لكل أنواع الذهب والفضة واحدة في عين البسطاء . وبهذا الأسلوب المحبب للذين لا يرقبون في ضحاياهم قرابة ولا ذمة استطاع بعض

الأفراد خاصة اليهود الذين مارسوا تزيف النقود وتعويج الموازين أن يكتروا أموالهم بالباطل . ولو أخذنا برأى ابن رشد القائل : يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا أنها هو لمكان القبن الكثير فيه . لكان من حقنا أن نقول لقد كان ربا الفضل ربا حقيقيا وحرمة قصدا لا وسيلة . وإن الفارق الوحيد بينه وبين ربا النسيئة هو أن المرابي قد استغل في الأول جهل الناس ، وفي الثاني عجزهم عن سداد الدين عند حلوله .

## ٧ - النقود في المجتمعات المتخلفة :

تعطينا معرفة النظم الاقتصادية التي كانت موجودة الى وقت قريب جدا في المجتمعات البدائية التي تسودها الأمية فكرة صادقة عما كان سائدا عند العرب الأميين خاصة أهل البادية حينما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تتضح للقارئ صحة ما ذهبنا اليه أي أن البز والشعير والتمر والملح كانت نقودا سلعية ( أو سلعا نقدية كما يقول آخرون ) . والمقصود بالسلعة النقدية أي سلعة يستخدمها أفراد مجتمع بدائي لقياس قيم السلع الأخرى . وغالبا ما نجد أكثر من سلعة نقدية في نفس المجتمع .

مثال ذلك ما كان شائعا بين أفراد إحدى القبائل التي تعيش في جزر الفلبين من استخدامهم للأرز الذي هو غذاؤهم الرئيسي والخنازير والجواميس وقلادات الذهب والخرز والأجراس والجرار المملوءة بالخمير المصنوع من الأرز ونوع خاص من البطاطين لتكفين موتاهم كسلع نقدية . وتستخدم بعض قبائل الكنفو كنقود سلعية قضباناً من الحديد وعدداً من الأشياء المصنوعة من هذا المعدن مثل الفؤوس والخواتم . ويعتبر الملح سلعة نقدية عند بعض القبائل التي تعيش في إقليم كتانجا ، وكان معتبرا كذلك في أواسط سيراليون حتى عام ١٩١٢ الذي تم فيه إنشاء خط السكة الحديد وفقد الملح مكانته بسبب الكميات الكبيرة التي أصبحت تصل منه إلى الأسواق .

ولقد كان شعب الالف الأفريقي المسلم الذي يعيش في المنطقة الممتدة بين نهري السنغال وغامبيا يستعمل الحبوب والثياب التي يصنعها من القطن المحلي كنقود سلعية . وكذلك كان شائعا في كثير من أجزاء السودان استعمال الذرة والثياب المصنوعة محليا كنقود سلعية بجانب الريال الإسباني، كما استعمل سكان الجزء الغربي منه بجانب الذرة الدخن قطعاً صغيرة من الحديد يصنعون منها الرماح والمدى والبلط وما إليها لنفس الغرض . أما في الصفقات الكبيرة فقد كانوا يتبايعون بالبقر . وكانت الخاصية المميزة للثياب التي استخدمها السودانيون وشعب الالف كنقود سلعية أنها ثابتة الطول والعرض .

## ٨ - طبيعة النقود السلمية :

يمكننا أن نلخص ما يهمننا من آراء الباحثين الذين قاموا بدراسة النظام الاقتصادية في المجتمعات البدائية فيما يلي : —  
أولاً — تعتبر النقود السلمية مرحلة انتقالية بين نظام المقايضة البحتة ونظام النقود المعدنية .

ثانياً — يجب التحقق من مكانة الشيء في أى نظام اقتصادى قبل اعتباره نقداً أو مجرد سلعة سوقية ، فإن كان يستعمل لقياس قيم السلع الأخرى أو يستبدل بسلع مختلفة أو يعطى مقابل خدمة فهو نقد حتى لو استخدم أحياناً فيها يتصل بالسحر أو الزينة .

ثالثاً — يعتبر الشيء سواء كان معدناً أو حجراً أو صدفياً أو سلعة استهلاكية أو غير ذلك نقداً طالما استخدم في الدفع مقابل الأشياء الأخرى أو الخدمات المختلفة .

رابعاً — زعم كارل بوخر ( اقتصادى المانى عنى بدراسة التطور الاقتصادية في أوروبا ) أن نقد أى قبيلة هو تلك السلعة التجارية التى لا تنتجها بنفسها بل تحصل عليها بانتظام من القبائل الأخرى عن طريق المبادلة . ويعرف هذا القول بقانون بوخر .

خامساً — من أهم خواص السلعة النقدية التجانس ( أى أنها ذات طبيعة واحدة أو تكوين واحد حتى تبدو متشابهة تماماً مثل الثياب التى استخدمها شعب الولف والسودانيون ) وسهولة النقل وقابلية التجزئة وبطء التلف ، كما أنها تشارك النقود المعدنية في أداء الوظائف الأساسية ( أى كوسيط للمبادلة وكمقياس للقيمة ) ولا يشترط أن تشاركها في القيام بالوظيفتين الفرعيتين ( أى كمستودع للقيمة وكمقياس للدفع المؤجل ) ، وذلك لأن السلعة النقدية تختلف من النقود المعدنية بكونها ذات قيمة ذاتية كغيرها من السلع السوقية التى يحكمها قانون الطلب والعرض ، وبأنها أسرع تلفاً .

سادساً — لم تكن المجتمعات البدائية التى استخدمت النقود السلمية في معزل عن المجتمعات المتقدمة التى كانت تستخدم النقود المضروبة .

## ٩ - اثبات أن البر والشعير والتمر

### والمالح كانت سلماً نقدية :

ذكرنا في البند السابق أن الحبوب والملح وبعض الحيوانات قد استعملت بالفعل كنقود سلمية في بعض المجتمعات البدائية المعاصرة ، فلذلك ليس بمستغرب لو استعمل العرب في الجاهلية والإسلام هذه السلع الرئيسية الأربع وكذلك الإبل والبقرة والغنم كنقود سلمية ، بل من المؤكد أنهم فعلوا ذلك كما يفهم من العديد من الأحاديث النبوية والآثار المسروبة عن الصحابة الواردة في استخدام هذه الأشياء كوسيط للمبادلة نظراً لقلة الذهب

والفضة بل لا نعداهما في بعض الأمكنة . روى البيهقي في سننه أن عمرو بن حريش قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : انا بأرض ليس فيها ذهب ولا فضة فأبيع البقرة بالبقرتين والبعير بالبعيرين والشاة بالشاتين . وهذا دليل على أن الناس في هذا الموضع يتبايعون بالابل والبقر والغنم كما قلنا . وقال الامام الشافعي رحمه الله : إن الحنطة تجوز بالحجاز التي بها سنت السنن جواز الدنانير والدراهم . وقال أيضا : إن الحنطة ثمن بالحجاز ، والذرة ثمن باليمن . وهذا يؤكد صحة ما قلناه عن السلع التي خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أي أنها كانت سلعا نقدية .

#### ١٠ — حكمة منع التفاضل في الصنف الواحد :

يستفاد من بعض الأخبار الصحيحة أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الصنف بفضة ببعض متفاضلا جاء بعد فتح خيبر وعلمه بما كان يجري في سوقها الذي احتكره اليهود قرونا طويلة من بيع الصاع بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، من الصنف الواحد بحجة التفاوت النوعي بين المقادير المتبادلة . ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الأنواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذي اتفق الناس على استخدامه كنقد سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين أن يتساويا في معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع أحدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن أن يستوفيه إلا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويندو أن اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للمربح الأمين عند التعامل معهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم تحريم الشارع الحكيم للتفاضل في الصنف الواحد بمثابة اصلاح للنظام الاقتصادي القائم يستهدف ابطال النسب المتعددة داخل كل سلعة نقدية لكي تصبح مقياسا موحدا سهل الاستعمال . ولولا هذا التحريم لأصبحت هذه النسب قوانين ثابتة وأحكاما شرعية راسخة تستمد قوتها من إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للعاملين بها . ويمكننا أن نتصور كثرة النسب التي كان من المحتمل استنباطها بواسطة الفقهاء عن طريق القياس ، وربما اضطروا الى وضع جداول لها وبذلك تصير عملية التبادل عسيرة على أهل الورع من المتعلمين فضلا عن الأميين . وبعبارة أخرى لقد خدم التحريم جمهور المستهلكين بأن وضع في أيديهم مقياس بسيط لتقويم السلع المختلفة وبذلك وفر عليهم كثيرا من الوقت الذي كان يضيع في النزاع حول الفروق النوعية للنقود السلعية وحماهم من الغبن الذي كثيرا ما وقع عليهم نتيجة لجهلهم بهذه الأمور .

#### ١١ — كيف رعى الشارع الحكيم مصالح الآخرين ؟

والذي يعقد الأمر ويحول دون رؤية الحكمة في منع التفاضل في الجنس الواحد بوضوح هو أن هذه الأجناس التي أصبحت تقوم بدور النقود هي في

المقام الأول سلع استهلاكية لها قيم ذاتية تعتمد على درجاتها من الجودة والرداءة وغير ذلك من الصفات التي تهتم المستهلك . ونتيجة لتفضيل المستهلكين بعض أنواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعي أن يطالب أحد المتبايعين بأن يزداد في الكيل أو الوزن بحجة أنه أعطى أجود مما أخذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الأنواع . ولما كان منع التفاضل الذي يعنى النتهى عن التعامل بهذه النسب في الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأنواع بنفس القدر الذي يعرفه الملازمون للأسواق ومصلحة الأميين الذين لا يحسنون الحساب ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم رعى أيضا مصلحة المتبايعين عند وجود تفاوت حقيقى أو ظنى بين الأنواع المتبادلة بارشادهم الى الطريقة المثلى التى بينها بلال في الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين هذا ؟ قال بلال : كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذاك : أوه عين أربا ، لا تفعل . ولكن اذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به . ( رواه البخارى ومسلم والنسائى ) . والتمر البرنى أجود أنواع التمر كما يقال ، وربما كان تأوه النبي صلى الله عليه وسلم بمالقة فى الزجر أو تألما من سوء فعل بلال أو فهمه والله أعلم . فالطريق القويم هو أن يبيع المرء ما عنده من تمر ردىء بدراهم أو دنائير أو قمح أو أى سلعة نقدية أخرى ثم يشتري بثمنه التمر الجيد .

## ١٢ - مزايا هذا التوجيه النبوى :

والمهم فى الأمر هو ضرورة ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النسبة التى يجب أن يتم بها تبادل نوعى التمر بدل التوصل اليها مباشرة عن طريق المساومة كما فعل بلال . والنسب الذى استوجب هذا الاجراء هو أن التمر قد فقد فى هذه العملية وظيفته كسلعة نقدية وأصبح كل نوع منه سلعة سوقية مستقلة بذاتها فلذلك احتاج المتبادلان الى تقويم ترميهما بواسطة مقياس مستقل لكى يتوصلا الى نسبة عادلة للتبادل . وبعبارة أخرى ، لقد مكن الشارع الحكيم ميكانيكية ( أو آلية ) السوق من القيام بدور الحكم المحايد لتقدير النسبة التى يجب أن يتم على أساسها تبادل الجيد والردىء من التمر . وتم اعطاء الفرصة لآلية السوق لكى تعمل بواسطة السلعة النقدية الجديدة التى أدخلت فى العملية فأدت الى شطرها الى عمليتين مستقلتين واحالتها الى بيع منفرد وشراء منفرد .

وأقل ما يقال عن محاسن الطريقة التى أرشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى ولو أدت أخيرا الى نفس النسبة التى يتوصل اليها المتبايعان مباشرة أنها أبعد الوسيلتين الحاقا للغبين بأحدهما وأقلهما مضیعة للزمن علاوة على أنها صانت لكل سلعة نقدية وحدتها القياسية التى اكتسبتها بمنع بيع بعضها ببعض متفاضلا .

## ١٢ - حكمة منع بيع الأصناف الربوية نساء :

أجمع المسلمون على منع بيع الصنف الربوي بفضله ببعض نساء ، واتفقوا على منع النساء من بيع الذهب بالفضة وفى بيع أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها . كما اتفقوا على جواز بيع أحد الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة نساء .

والسر فى ذلك - والله أعلم - هو منع الغبن الفاحش الذى قد يلحق بأحد المتبايعين على واحدة من هذه الصور . مع افتراض عدم التفاضل فى المقادير المتبادلة :

**أولاً -** إذا باع شخص شيئاً بجنسه مؤجلاً فهو بمثابة دين للمشتري ، وعليه يجب مراعاة أحكام الديون فى هذه الصورة حتى لا يظلم أحد الطرفين الآخر كان يعطى رديئاً ويشترط أن يرد إليه جيداً ، أو يعطى فى زمان رخصه ويشترط أن يرد إليه فى زمان غلائه .

**ثانياً -** إذا بيع الذهب بالفضة نساء ، أو أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها نساء فانه قد يلحق أحد الطرفين غبن كبير نتيجة للتقلبات المفاجئة فى أسعار هذه السلع بسبب أو آخر مثل وصول قافلة محملة ببعض هذه السلع فتتهبط قيمتها بنسبة كبيرة عما كانت يوم إبرام الصفقة ، أو إصابة المحاصيل بأفة فيرتفع ثمنها كثيراً عما كان يوم عقد البيع . أما جواز بيع الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة فيرجع أساساً لثبات قيمة هذين المعدنين نتيجة لصلالة الكميات المستخرجة منهما سنوياً بالنسبة لما هو فى أيدي الناس بحيث لا تؤثر الزيادة السنوية فى العرض الكلى لكل من هذين المعدنين تأثيراً يذكر . وبفضل هذه الخاصية التى تميز بها هذان المعدنان عما سواهما من أنواع النقود السلعية أصبحا قادرين على قياس الدفع المؤجل .

**ثالثاً -** القصد من منع التفرق قبل التقابض هو انجاز عملية التبادل بالسرعة التى تؤمن الطرفين من التقلبات المفاجئة للأسعار ، وفى جو من الثقة التى قد تتزعزع بسوء ظن أحد المتبايعين بالآخر إذا غاب عن نظره بسلعته قبل أن يوفيه حقه خاصة إذا كان ممن عرفوا بالفش والخيانة مثل اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بقوله : « ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل » . ( آل عمران : ٧٥ ) ، وفسر ابن عباس قوله عز وجل « ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك » بقوله : « ومنهم من تبايعه بئمن الدينار لا يؤده اليك » ، وفسر السدى قوله تعالى : « إلا ما دمت عليه قائماً » بقوله : « إلا ما دمت قائماً على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له » والمعنى أنه إنما يكون معترفاً بها دفعت إليه ما دمت قائماً على رأسه فان أنظرت وأخرت أنكر ، وكانوا يستحلون الخيانة بحجة أنه لا اثم عليهم فيها أصابوا من أموال العرب وغيرهم من الأمم (١٤) . أما عدم مفارقة أهل التقوى والصلاح بعضهم البعض حتى يتم التقابض فانما نفسره بحرصهم البالغ على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أمر وإن لم يروا ما يستوجب لاتهم يأتهمون بعضهم البعض - والله أعلم .



## ١٤ - كيف استغل اليهود سذاجة المرب ؟

ذكرنا فى حديثنا عن الذهب والفضة أن التمييز بين الجيد والردىء لا يعرفه العامة إلا إذا كان الفارق فاحشا ، أما الفوارق الضئيلة فلا يدركها إلا الحذاق من الناس . . وكذلك يمكننا أن نقول هنا لقد كان أهل المدينة أعرف الناس بأنواع التمر لكثرة النخيل عندهم ولهذا لم يروا بأسا فى بيع صاع من الجيد بصاعين من الردىء ، بينما كان أكثرهم لا يميزون بين البر والشعير حتى قالوا أنها صنف واحد وهكذا اعتبرها مالك ومعظم علماء المدينة . وهناك من عدّ الدخن والذرة والأرز صنفا واحدا بينما يستطيع اقوام التمييز والمفاضلة بين كثير من الأنواع التى يحويها أى واحد من هذه الأصناف التى اعتبرت صنفا واحدا . فإذا كان كثير من الناس لا يفرقون بين الصنفين أو الثلاثة ، فكيف نتوقع من الأعراب أن يميزوا بين أنواع التمر بنفسى القدر الذى يفعله المتفكهون من أهل المدينة ؟

ويبدو أن يهود المدينة قد استغلوا لأقصى حد عدم تساوى مصرفة المستهلكين بالمواد الغذائية الرئيسية بالطريقة الآتية أو مثلها . كانوا يأخذون من المستهلك القادر على التمييز بين أنواع التمر مثلا مقدارا مما يعرضه عليهم من الردىء يزيد بكثير على ما يعطونه له من الجيد وهو راض بذلك لأنه زاهد فيما عنده وراغب فيما لديهم ، ثم يبيعون هذا التمر الردىء بأسعار عالية للذين تتساوى كل الأنواع فى نظرهم . وقد يحدث عكس هذه العملية إذ كانوا يأخذون من البسطاء الأنواع المختلفة أو الأصناف المتباينة بسعر واحد على أساس أنها شىء واحد ثم ينوعونها أو يصنفونها ويبيعونها للقادرين على التمييز والمفاضلة بأسعار متفاوتة قد تصل الى ضعف ما اشتروا به . ولقد مارس بعض التجار السودانيين الذين لا يخشون الله العملية الثانية هكذا . اعتاد التجار الذين هم من شمال السودان وأكثر وعيا من غيرهم أن يسافروا ومعهم كميات من الملح الى المناطق المتخلفة التى يزرع فيها خمسة أنواع من الذرة التى هى الغذاء الرئيسى لأهل السودان ويشتروا هذه الأنواع المختلفة بسعر واحد من المزارعين البسطاء بدعوى أنهم لا يعرفون أى فرق بين نوع ونوع ولكنهم كانوا يضعون كل نوع على حدة ، وكانوا يعطونهم الملح ثمنا لذلك . ثم يرحلون الذرة الى مدن السودان الرئيسية ويبيعون كل نوع بسعر خاص وقد يبلغ سعر أجود الأنواع ضعف سعر أدناها .

## ١٥ - حقيقة ربا الفضل :

كان يهود المدينة يزيفون الذهب والفضة ويتلاعبون بالأوزان ، وكانوا ينتجون أجود أنواع التمر لبيعوه للمستهلكين من ذوى السعة بأكر مقدار من أبخس أنواع التمر الذى لا يرغبون فى الاحتفاظ به لا لشىء إلا لكى يبيعوه للمساكين والمضطرين عندما يعز الطعام وتختفى من السوق الأنواع الجيدة بسبب استهلاكها أو ادخارها فى البيوت المتيسرة الحال للقوت ، فيطلبون منهم

أثمنا عالية ويميلون عليهم شروطا قاسية إذا أعطوهم نسيئة. وكثيرا ما أهدرت تلك الشروط كرامة المضطرين وحريتهم إذ كانوا يرفضون أن يعطوهم أى دين ما لم يرهنوا عندهم سلاحهم بل نساءهم وأطفالهم كما ذكر ابن هشام فى قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودى من أنه طلب من أبى نائلة وكان أخاه من الرضاعة أن يأتيه هو وأصحابه بنسائهم أو أولادهم كرهائن لكى يبيعهم طعاما نسيئة .

ويشهد على صحة ما قلناه عن اليهود ما جاء على لسان نبيهم عاموس الثائر على ظلمهم للعباد بل لبنى جلدتهم ، فهو يقول لهم منذرا : اسمعوا هذا أيها المنهممون المساكين لكى. تبعدوا بئسى الأرض . قائلين متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة . لنسفر الايفسة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الفئس . لنشتري الضعفاء بفضة والبائس بنعلين وتبيع نفاية القمح . وقد أقسم الرب بفخسر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم .

تحكى لنا هذه العبارة أساليب المكر والخيانة التى ابتكرها تجار بنى اسرائيل للأكل أموال المساكين بالباطل . وتحدثنا أنهم كانوا فى غاية الجشع حتى تضايقوا من رأس الشهر ومن السبت لعدم السماح لهم بالعمل فى هذه الأيام . فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر مجيء الأيام الأخرى ليزاولوا أعمالهم الذميمة من تصفير للمكيال المسمى بالايفة وتكبير للصنجة المسماة بالشاقل وتعويج للموازين حتى يأخذوا أكثر مما هو لهم ويعطوا أقل مما يجب عليهم . كانوا يستعملون الايفة لكيل القمح والحنطة عند البيع فلذلك صفروها لكى يظلموا الشارى بانتقاص حقه ، وكانوا يستعملون الشاقل لوزن المال المدفوع — ذهباً كان أو فضة — بواسطة الشارى فلذلك زادوا فى وزنه لكى يظلموا الشارى مرة ثانية بأن يأخذوا من ماله أكثر مما هو لهم . ولم يكتفوا بذلك بل ظلموه مرة ثالثة باستخدام الموازين المعوجة عن قصد .

يقول عاموس : إنهم استرقوا أخوانهم المساكين الذى عجزوا عن دفع ديونهم التى قد تكون ثمن نعلين فقط وباعوهم كعبيد بأبخس الأثمان ، وباعوا حثالة القمح ورذالته للمضطرين بأبهظ الأثمان . أخذوا كل ما فى أيدي الناس ظلما حتى أفقروهم وسلبوهم حريتهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نرى بوضوح أن بيع الردىء بالجيد من الصنف الواحد — خاصة التمر — متفاضلا قد مارسه يهود المدينة الذين احتكروا انتاج أجود أنواع التمر بقصد الحصول على أكبر مقادير من حثالته بأقل الطرق تكلفة مستغلين حاجة المستهلكين للأنواع الجيدة وزهدهم فى الأنواع الرديئة التى بأيديهم عند وفرة الطعام . وغرضهم من كل هذا هو كما قال عاموس أن يبيعوا هذه الحثالة للمضطرين بأبهظ الأثمان خاصة عندما يعز الطعام ولا يجدون شيئا سواه للبقاء على حياتهم .

ولا ريب فى أن الكسب الذى يحصلون عليه بهذا الأسلوب سحت محض بن هو صنو الربا لفداحة الغبن الذى فيه . ومن هنا يتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه من أن ربا الفضل ربا حقيقى وليس مجرد وسيلة لربا النسيئة وأنه يعتمد تارة على استغلال جهل الناس كما ذكرنا فى نهاية البند السادس ، وتارة على استغلال حاجتهم كما حاولنا أن نثبت هنا . أما ربا النسيئة فانه يعتمد أساسا على استغلال عجز المدين عن سداد الدين عند حلوله . وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال « عين الربا » .

### ١٦ - خلاصة البحث :

**أولا -** كانت تستعمل السلع الرئيسية الأربع وهى البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية مساعدة للذهب والفضة فى مجتمع المدينة . ويستفاد من عبارة عمرو بن حريش أن الابل والبقر والغنم كانت تستعمل أيضا كوسيط للمبادلة فى بعض أجزاء الجزيرة العربية . فلذلك نرى أن علة تحريم ربا الفضل فى الأصناف الستة المنصوص عليها واحدة وهى النقدية .

**ثانيا -** لا يمكن أن نضع قائمة بالأشياء التى يجرى فيها ربا الفضل على ضوء العلة التى ذكرناها وذلك لأن الأشياء التى يقع عليها اختيار الناس لكى تقوم بدور النقود تختلف من بيئة الى أخرى بحيث يتعذر علينا معرفتها سلفا .

**ثالثا -** أن منع الشارع الحكيم لبيع الصنف الربوى بعضه ببعض متفاضلا ناجزا أو نسيئة ينطوى على مقاصد عديدة لا يدركها جميعا الا من نظر الى الأمر من عدة زوايا كما حاولنا أن نفعل . مثال ذلك ، لو نظر الى الأصناف الربوية كنقود سلعية لأبصر غرض النبى صلى الله عليه وسلم من المنع وهو اضعاف خاصية التجانس على كل منها حتى تتمكن من القيام بدورها كوسيط للمبادلة ومقياس للقيمة على ما يرام ، ولو نظر اليها كسلع سوقية وتأمل الظروف التى كانت تباع فيها وتشتري لأدرك أن المنع جاء لحماية مصالح الأكثرية التى لا تستطيع أن تميز بين الأنواع المختلفة كما وضعنا ذلك .

**رابعا -** لم يكن تحريم ربا الفضل لمجرد كونه ذريعة لربا النسيئة . ولكنه حرم لكونه ربا حقيقيا كما قال صلى الله عليه وسلم « عين الربا » أى أنه حقيقة الربا المحرم .

# المنجزات الإسلامية في القرن العشرين



للدكتور محمد زايد

اسمحوا لي أن أعترف بصعوبة إيفاء الموضوع حقه من الاحاطة لأسباب  
ثلاثة :

**الأول :** هو اتساع العالم الاسلامي وتعدد أجناس عناصره واختلاف  
أوضاعهم السياسية والاجتماعية وبالتالي لتعدد المشكلات التي يواجهونها .

**الثاني :** هو خيبة أمل الباحث فيما يجد في متناوله من أبحاث عن بقاع  
كثيرة من العالم الاسلامي يندر مثلا أن تجد بحثا عن مسلمي مدغشقر أو جزر  
المالديف أو جنوبي أفريقيا ، ولا بد من سد هذه الثغرة المهمة في المكتبة  
الاسلامية وتوجيه بعض الاهتمام لأطراف العالم الاسلامي ، لا حصره في  
وسطه .

**الثالث :** يتعلق بما يمكن اعتباره من المنجزات .

هذا أمر ذاتي الى حد كبير ، لأنه يستند بصورة رئيسية الى ما يعتبره  
المرء مقوما من مقوماته ، وإلى تصويره لحاضره ، ولما ينبغي أن يكون عليه  
مستقبله .

وما انطلق في هذه المحاضرة الا من مفهومى لهويتى وهو أننى مسلم  
وعربى .

استضافت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور محمود زائد أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة الأميركية ببيروت ، وقد ألقى محاضرتين : الأولى بعنوان « المنجزات الإسلامية في القرن العشرين » وكانت في قاعة المحاضرات بجامعة الكويت ، والثانية تحت عنوان : « الإسلام وتحديات القرن العشرين » وكانت باللغة الإنجليزية ، وذلك في قاعة المحاضرات بغرفة التجارة والصناعة ، وفيما يلي نص المحاضرة الأولى :

وأود أن أعترف بأنني لم اختر هذا الموضوع يقينا مني بأنني من أقدر من يوفيه حقه من البحث ، ولا يقينا بأنني موفيه حقه ، وإنما اخترته بسبب ما لاحظته ولاحظه غيري من تركيز كثرة من الكتاب في الشرق والغرب على تخلف المسلمين وجمود الإسلام ، بعضهم لا يزال يضرب على نغمة قصور المسلمين عن اللحاق بغيرهم من الأمم ( المتقدمة ) ، ويذهب البعض الآخر إلى أن الإسلام لا يستطيع أن يساير الحياة ، بل ، وهناك من يذهب إلى أن صلتنا بترائنا انقطعت نهائيا ، كتب أحد هؤلاء يقول :

« من يدعو إلى رفض الأفكار المستوردة اليوم ، بعد مرور أكثر من قرن على النهضة وعجز جميع المصلحين عن السياحة في غير محيط الأفكار والنظريات الغربية ، يفوه بكلام فارغ اذن ، كلام لا معنى له اطلاقا ، لأن رباطنا بالتراث الإسلامي في واقع الامر قد انقطع نهائيا في جميع الميادين وأن الاستمرار الثقافي يخدعنا .. » .

ولا يخفى ما في دعاوى هؤلاء وغيرهم من افتئات على الواقع ، ومن تضليل لكثرة من الناشئة الذين لم يأخذوا من الإسلام أكثر بكثير من شرف الانتماء إليه . ولكن يجدر بنا أن ندرك كيف تكون هذا الانطباع .. ؟

أول سبب أساسي هو وقوع العالم الإسلامي في برائن الاستعمار ، كان هذا صدمة كبيرة للمسلمين أينما كانوا ، ودفعهم حول الصدمة إلى اطلاق الصرخة بعد الصرخة استنهاضا للنفوس واستشارة للهمم لمقاومة العدوان ، ولكنهم في الوقت ذاته اظهروا من الأسف لحال المسلمين والأسى لما وصلوا إليه ما أسهم في تكوين الانطباع السائد عن تخلف أو انحطاط المسلمين ، وأحيانا عن جمود الإسلام ذاته ، قال الشاعر الفيلسوف اقبال :

« أين حمائك يا هذه الديار ، وأين من جلجلت تكبيراتهم في المساجد ؟ .. أسفا عليك يا ديار الإسلام التي منك انبعثت طلائع الحرية والعدالة والسلام » .

وظهر من المقالات والكتب التى حملت عناوين تنسب الانحطاط او التآخر للمسلمين ما ترك الانطباع بأن الاسلام فى انحطاط وتآخر وتخلف بالفعل ، ولعل أخطر ما فى هذا الانطباع هو ايهام السامع بانحطاط الاسلام بوصفه ديناً او بجهوده ، أو بقصوره وعجزه عن مسايرة الحياة .

وقد أسهم فى تكوين هذا الانطباع بشكل رئيسى تحامل كثرة من المستشرقين والمبشرين والكتاب الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة الاستعمار : كتب اللورد ( هيلى ) يقول عن الاستعمار الفرنسى :

« ومنذ البدء وجدت الادارة الفرنسية فى أفريقيا نفسها تشن حرباً لتحرير الافريقيين الاصليين من سيطرة الاسلام المكافح » .

ويضيف اللورد هيلى الى هذا أن هذه النظرة السياسية الفرنسية انعكست على أبحاث الفرنسيين عن الاسلام .

لكن يجب الا يغرب عن البال أن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت أيضاً ذات تأثير كبير على تكوين هذه النظرة .

لقد سبق لى أن بينت فى محاضرة سابقة وقبل حوالى عام واحد من هذا المكان نفسه أن العصور التى تلت القرن الحادى عشر الميلادى من تاريخ الاسلام لم تكن عصور انحطاط كما هو شائع ، وعليه فنسبة الجمود والقصور الى الاسلام خاطئة من الاساس وتدل على جهل بواقع التطور التاريخى .

وأود فى هذا الحديث أن أوضح امرين أساسيين :

**الأول :** هو أن المنجزات الاسلامية فى هذا القرن انجازات ضخمة من أى زاوية نظرنا اليها ، وبأى مقياس قسناها ومن الناحيتين العملية والنظرية .

**والثانى :** أننا نشهد ثورة فكرية ذات اتجاهات واضحة فى مقدمتها رفض الفكر الاوروبى الذى طالما وقعنا تحت رقاؤه ، واصلاح الخلل الذى أحدثه فى مؤسساتنا ، ثم الاتجاه الى منابع ثقافتنا وخاصة الدينية منها ومحاولة الخروج بأيدىولوجية عربية اسلامية متكاملة ، وإذا كانت هناك ثورة فكرية سلمية خبرى فى تاريخ الاسلام الحديث فهى هذه ، أى التخلص من برائن الفكر اللبرالى الاوروبى .

### أما بالنسبة للأمر الاول :

وهو المنجزات .. فانى أضع فى مقدمتها انتشار الاسلام حتى فى الفترة التى بلغ فيها التسلط الغربى على العالم الاسلامى أوجه ، فانتشاره دون قوة سياسية تدعّمه ، وفى وجه قوى تتسارع معه ، وتهدف الى زعزعة مقوماته ، هو أعظم دليل على حيويته الدافقة وتوثبه الدائم ، وجاذبية عقيدته الصافية . هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى ، فنحن مدينون لانتشاره فى اتساع رقعة العالم الاسلامى اتساعاً أدركنا نحن العرب مؤخراً مدى أهميته فى معركتنا مع الاستعمار ورأس حربيته اسرائيل ، وأدركوا هم أيضاً أهمية مشاركتهم لنا فى صراعنا الحالى ضد الصهيونية .

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر شهدت مناطق كثيرة مداً اسلامياً جارفاً أصاب المستعمرين والمبشرين بالذهول ، فقد شهدت مناطق السودان الشرقى والايوسط والغربى من القارة الافريقية نهضة اسلامية عظيمة كان رائدها الشيخ عثمان دنفديو الذى كان له الفضل فى جعل الاسلام دين شعوب بأكملها فى

السودان الاوسط وأسس الامبراطورية الفلانية وعاصمتها سوكونو ، بعد أن سلخ ثمانية عشر عاما من عمره ( ١٨٧٦ - ١٨٩٤ ) يدعو الى الاسلام بين القبائل الافريقية .

وقد تلت هذه الانطلاقة انطلاقات أخرى :

فى السودان الغربى بقيادة الحاج عمر ، وفى السودان الشرقى بفضل محمد عثمان الميرغنى ، وأشرق نور الاسلام على بقاع أخرى كثيرة مثل تفقاسيا حين نهض الضابط التركى فرح فى عام ١٧٨٢ م بتأسيس مركز فى انابا بالقرب من منفذ على البحر الاسود ليكون مركزا لنشر الاسلام بين الشراكسة . وكان هؤلاء قد بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية فيما عدا قلة ضئيلة منهم كان أفرادها قد دخلوا فى الاسلام . تزوج هذا الضابط من شركسية وطلب من أتباعه أن يحذوا حذوه ، واستقدم علماء من القسطنطينية لتعليم الاسلام ، وكانت هذه الحركة منطلقا لانتشار الاسلام حتى القرن العشرين .

وفى الهند ، نجد قائمة الدعاة الى الاسلام تضم الى جانب الفقهاء رجالا ونساء من جميع الطبقات ، « ونجد فى ثبت يتضمن أسماء دعاة الهندوفى صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية أسماء معلمى مدارس وكتاب للحكومة .. وتجار ( وفيهم احد العمال فى عربات النقل بالجمال ) ومحرر احدى الصحف ومجلد كتب وعامل فى مطبعة . فقد خصص هؤلاء الناس بساعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومى للدعوة الى دينهم فى الطرقات وأسواق المدن الهندية » .

ويشيد أرنولد بالدور الكبير الذى قامت به المرأة المسلمة فى هذا السبيل ، وكم يتمنى المرء أن يجد فى كتبنا المدرسية - وأغلبتنا من المسلمين - اسم واحد من أولئك المصلحين الافريقيين أو اشارة الى الجنود المجهولين الذين كرسوا ما لديهم من جهد فى سبيل نشر دينهم .

ولا يقل عن هذا الانجاز تحرر الغالبية الكبرى من البلدان الاسلامية من الاستعمار ، وغنى عن القول أن اكبر الفضل فى ذلك يعود الى الاسلام الذى وجد فيه الغربيون معقلا يحول دون تمثيل المسلم وحمله على التخلّى عن مقومات تراثه ، والجزائر بلد المليون شهيد أبرز مثال على ذلك .

كما كان للاسلام والعروبة معا الفضل فى صمود المسلمين عربا وغير عرب لعملية ( غسل الدماغ ) التى قام بها الغرب لزعزعة مقومات الاسلام ، وذلك بازدرائه للعقل الشرقى بوجه عام ، وطعنه فى قدرته ، وبفرض مؤسسته وقوانينه وعاداته ، وبالتبشير فى دياره ، وبفرضه ثنائية التعليم وثنائية القوانين والمحاكم . وأخيرا وليس آخرا بقيامه بمحاولة بعد محاولة لاضعاف صلتنا بتراثنا . فأطلق أبواقه تدعو الى تبسيط قواعد اللغة العربية أو اصلاحها أو بالاثنيين معا ، وحينما بالتحول الى اللهجات المحلية لغة للتدوين والتأليف ، وحينما بالتحول عن الحروف العربية الى اللاتينية ، وفى الوقت ذاته أخذ يشجع الدعوات الاقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرها .

وبالرغم من تحول تركيا الى الحروف اللاتينية ، واضطرار تركستان الى التحول اليها ، فان الشعوب العربية كلها وكثرة من الدول والاقليات الاسلامية وخاصة فى الهند والباكستان وشرقى افريقيا واندونيسيا تمسكوا بالحروف العربية ، وينص الدستور الباكستانى الحالى على ضرورة تشجيع تعليم اللغة العربية .

وفى هذه الاثناء اضطلع العرب بتجديد لغتهم وذلك بتبسيط أسلوبها واغناء

مصطلحاتها وترجمة مختلف العلوم إليها ، وهذه هي المحاولة الثانية لتجديد اللغة بعد العصر العباسي .

ومن أبرز ما حققه المسلمون في القرن العشرين هو اصلاح الخلل الذي أحدثه الأوروبيون بتشجيع ثنائية التعليم أو بفصل التعليم الحديث عن التعليم الديني ، وبتشجيعهم ثنائية القوانين والمحاكم بأحداث قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية وشرعية . وكان القصد من هذا كله كما لا يخفى حصر الاسلام في أضيق نطاق ممكن في المعاهد وفي حياة الشعب .

وكان أخطر ما ترتب على فصل الدراسات الدينية عن الدراسات العلمية غير الدينية أننا قطعنا الصلة بين شبابنا وبين أهم مقومات تراثهم وهو الدين . وتركتهم في فراغ روحى شديد الى درجة أن بعضهم تخيل أن كل صلة لنا بالتراث قد انقطعت وأننا لا بد متفربون أو متأمركون أو متفرنسون أو متروسون .

ولا يقل عن هذا خطرا ما جنيناه على المتخصص بالدراسات الدينية عندما عزلناه عن أبعاد مهمة الثقافة ، فضاقت أفقه ، وانعكس واقعها هذا على نظرتنا له ، وأحطلناه في معاشه منزلة دون منزلة طالب العلوم الأخرى ، وباختصار أصبناه في عقله وفي ماله ، ونادرا ما ثار وجدان أصحاب السلطة والمثقفين ونادوا بدفع الظلم عنه ، ومما يبعث على الاسى أننا بعد هذا كله نضع مسؤولية التخلف عليهم ، هذا بينما لا تلوم المهندس ولا الطبيب وغيرهما من المتخصصين بالدراسات الأخرى .

ومن آثار هذا الفصل بين الدراسات الدينية وغيرها أننا أخذنا نجري على سنة الغرب فنقول : عالم دين وعالم دنيا ، بدلا من أن نقول : هذا مسلم متخصص بالدراسات الدينية وهذا مسلم متخصص بغيرها من الدراسات . ووراء هذين الاصطلاحين فكرة الفصل بين الدين والدنيا وهي فكرة تتنافى بشكل مبدئي مع الاسلام .

لقد بدأت فكرة الفصل بين العلوم الدينية والدنيوية منذ أوائل احتكاكنا المباشر بالغرب وشجعها المستعمرون لأنهم أدركوا بأن أكبر عقبة في سبيل السيطرة على المسلمين واستغلال خيراتهم هو الدين ، وعليه فلا بد من زعزعة أسسه بتحصيل الشبان عنه . ولحسن الحظ أن المسلمين تنبهوا الى هذا فأخذوا منذ حوالي مائة وخمسين سنة يصلحون الخلل بالعودة الى ما انقطع من صلتنا بالتراث في المعاهد الحديثة ، ولجأوا في ذلك الى حلول رئيسية أربعة :

**الأول :** انشاء دوائر أو كليات للدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الوطنية .

**والثاني :** ادراج موضوعات عن الاسلام في الجامعات كما حدث في جامعة القاهرة والاسكندرية ودمشق والرباط وأندونيسيا وذلك في فروع اللغات أو الأدب أو التاريخ أو القانون لكن بدون انشاء دوائر خاصة بالدراسات الاسلامية .

**والثالث :** انشاء أقسام للدراسات الدينية على نهج كليات الدين في الغرب كما حدث في عليكرة وطهران وأنقره ( ١٩٤٩ ) واستنبول ( ١٩٥٩ ) .

**والرابع :** هو ادخال العلوم الحديثة في المعاهد الدينية وأبرز مثل على ذلك هو ما شهده الأزهر من اضافات الى مناهجه الدراسية وكلياته منذ عام ١٩٦١ م .



وأرى أن العودة بالدراسات الدينية الى المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد على اختلاف أنواعها هي بمثابة إعادة الروح الى الأمة بأسرها وبداية انطلاق عظمى لعملية التجديد والبناء ولكن المسألة ليست مجرد إضافة دائرة أو كلية وإنما هي دمج الثقافة الدينية في العملية التعليمية برمتها .

وأود ممن يقولون بقصور الشريعة عن مسايرة الحاضر أو يلومون الفقهاء أن يمعنوا النظر قليلاً فيما تم في حقل التشريع من إنجازات كان في مقدمتها القضاء على الازدواجية أو الثنائية في القوانين والقضاء التي قصد بها أيضاً حصر المتخصص بالعلوم الدينية . وحصر تطبيق الشريعة في أضيق نطاقات ممكنة ، وقد جاءت هذه الازدواجية بين قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية ومحاكم شرعية نتيجة لخضوع البلاد الإسلامية للجانب ، ولسهولة اقتباس القوانين الأجنبية ، وحرص علماء المسلمين على ألا يجري العبث بأحكام الشريعة القراء . وأوليت دراسات الحقوق في البلاد العربية بمزيد من الاهتمام ، وفتحت لخريجها أبواب الوظائف في السلكين السياسي والدبلوماسي ، بينما حصر خريجو كليات الشريعة الإسلامية في مجال ضيق ، وأصيبوا في أرزاقهم تبعاً لذلك .

وعلى الرغم من تأثير مركز الفقهاء وخريجي كليات الشريعة على هذا النحو ، فقد بذلوا هم وعدد لا يستهان به من خريجي الحقوق من أصحاب الغيرة على الإسلام جهوداً كبيرة موفقة كان لها فضل كبير في إثبات زيف ما ذهب إليه المفرضون والمتحاملون على الإسلام الذين زعموا بأن الإسلام يتصف بالجهود ولا يتسع للتجديد وأنه في حالة تجددته فإنه يفقد الصبغة الإسلامية ، لقد أثبت الفقهاء من خلال ما استنبطوه من أحكام ، وبلغة سهلة وعصرية ، على أن التجديد الدائم هو في صلب التعاليم الإسلامية . كما أثبتوا أنه باستنارته بمصالح المسلمين ، وتوجيه التيسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وحضه على التجديد ، وفرضه لضرورة الاجتهاد على الأقل عند بعض المذاهب كما هو الشأن عند الحنابلة . . بهذا كله أثبتوا أن الإسلام قادر على التغلب على الفساد وإقامة المصالح وإن شئت قل : قادر على مواجهة التناقضات في المجتمع ما جد منها وما سيتولد عنها .

أكدوا هذا بوجه عام وأتبعوا في الوقت ذاته منهجية من شأنها أن تساعد على الاستفادة من الثروة الضخمة التي خلفها الفقهاء في كل ناحية من نواحي التشريع .

لقد لجأوا أولاً الى اصدار القوانين مع التقيد بمذهب ولكن بدون التقيد بالرأي الراجح فيه وهو ما فعله الفقهاء أيام العثمانيين في المجلة ، ثم ما لبثوا أن لجأوا الى تخير الاحكام دون التقيد بمذهب معين وهو ما فعلوه حين أصدروا قانون الاسرة . وسار في أثرهم الفقهاء في مصر أيام الخديوي اسماعيل ، وفي القوانين التي تنظم شئون الاسرة والتي صدرت عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، استمد الفقهاء الاحكام من المذاهب الاربعة .

ولجأ الفقهاء بعد ذلك الى تلفيق الاحكام ، بل والى تلفيق الحكم الواحد كذلك ، ومال البعض الى التيسير على المسلمين بالاستناد الى المبادئ الخلقية الاساسية ، والعمل في ضوءها على رفع الظلم عن بعض الفئات الاجتماعية . ولم تقتصر اجراءات التغلب على الازدواجية على ميدان الاحكام فقط ، بل تعدت ذلك الى القضاء كما حدث في مصر حين جرى توحيد المحاكم .

ولا بد لي من أن أدرج في هذه المنجزات حقيقة مهمة وهي أن الحكام في البلاد العربية سواء كانوا ثوريين أو غير ثوريين ، يلتقون عند نقطة أساسية ومصيرية وهي أن هويتهم عربية اسلامية وأن البناء على غيرها لا بد وأن يكون كمن يبني في الهواء .

واعتقد أنهم بصفة عامة أخذوا يدركون أن الاسلام برغم كل ما رمى به من نعوت سلبية هو بناء شامخ ومتكامل لا ينال منه الزمن ، وأنه يتسع لكل اصلاح ما دام أساسه روحيا .

قال نابليون مرة بأن أعظم قوتين في العالم هما السيف والروح ، والنصر هو في النهاية دائما للروح ، وليس من شك في أن سلطان الاسلام الروحي على المسلمين قد أثبت أنه لا يقهر ، وأن المسلم قد يلبس القبة ولكن رأسه يظل مسلما .

وصلنا النقطة التي يجب أن نتساءل فيها عن الاسباب التي تكمن وراء هذا التيار القوي للتأكيد على الاسلام واتخاذة أساسا للحركات القومية ثورية وغير ثورية والغوص في منابعه الروحية وثروته الفكرية .

ليس من شك في أن حيوية الاسلام ، وتكامله روحا وفكرا وموازنته بين الحاجات الروحية والمادية سبب رئيسي . ولكن هناك أسباب أخرى وان كانت غير واضحة في أذهان الكثيرين .

في مقدمة هذه الاسباب أن افتتان المسلم بالغرب وبحضارته قد تزعزع من أساسه وأن المسلم قد أخذ يتغلب على الشعور بالنقص إزاء الغربي وحضارته .

ولهذا أسباب في مقدمتها سببان رئيسيان :

وهما : خيبة أمل المسلم في الفكر اللبرالي ، والفكر المادي الثوري ، جدليا كان أو غير جدلي ، فالحضارة الأوروبية القائمة على اللبرالية التي طامها وقع المسلم تحت تأثير رقاها هي نفسها تعاني من أزمات شديدة زعزعت إيمان الأوروبيين أنفسهم بها وبمستقبلها .

ولم يفت المسلم أن يلاحظ أن هذه الازمات هي في الأساس روحية ، وأنها كما يقول مؤرخ أميركي للحضارة الغربية أنها تكمن في : ازدواجية المقاييس الخلقية . فبينما ينشد الغربي بوصفه فردا مقياسا عاليا لسلوكه ، تتبع دولته في علاقاتها مع غيرها مقاييس لا أخلاقية وتتبع أساليب لا تبررها أية غاية . ولقد أثار تنكر الغرب للعدالة لا نائرة شعوب العالم الثالث فحسب ، بل وثائرة الشعبان الأوروبيين أيضا . وما مرد تمرد هؤلاء الشعبان على سلوك بلادهم في حرب الفيتنام وغيرها الا مظهر من مظاهر الثورة على الظلم والقرصنة والعدوان على الحرية .

ويتتبع المسلم أخبار المجتمعات الأوروبية فيستلفت نظره أن التيار المادي الجارف وفقدان الإيمان عند الأجيال الناشئة وإيمانهم بنسبية الاخلاق قد دفع الكثيرين الى التوسل بالمخدرات للاعتناق من سطوة المادة وللتعبير عن نقيمتهم على المجتمع واحتقارهم له .

ويلاحظ المسلم كذلك أن هذه النعمة تجد متنفسا لها في جرائم فردية وجماعية وحشية وفي الهروب من العمل ، والتمرد على النظم ، ونبذ أساليب

الحياة المألوفة ، والانعزال عن المجتمع فى الكهوف أو الشـعـاب أو تحت الأرض .

وأهم من هذا كله أنه لم يفت المسلم أن يدرك أن الفكر اللبرالى أو المتحرر الذى ساد أوروبا فى القرن الماضى وشطر من القرن الحاضر كان نتاج ظروف خاصة بأوروبا لا ظروف انسانية عامة .

وقد يغيب عن بال كثرة من مثقفينا وكتابنا ومؤرخينا أن العلماء الغربيين الذين افنتن بأبحاثهم وعلمهم كانوا ولا يزالون يسخرون أنفسهم لخدمة أغراض تتنافى مع مقومات المسلمين وتطلعاتهم وأوضاعهم . لقد كان أولئك المثقفون الغربيون مثل كلاب الحراسة كما يقول الكاتب الوجودى الفرنسى جان بول سارتر ، يعملون فى خدمة الايديولوجيا البورجوازية ، ناصب هؤلاء المثقفون اللبراليون رجال الدين العداء ونادوا بتحريض ميادين الاقتصاد من الصبغة الدينية وذلك لاطلاق يد البورجوازية فى خيرات الشعوب . ونادوا بحرية الاقتصاد لهذا الغرض نفسه وتوصلوا الى نظريات عنصرية تثبت تفوقهم ، بل بلغ الأمر بهم حدا قام معه الاطباء النفسيون الفرنسيون بأبحاث ترمى الى تفسير تأخر الافريقيين ببنية أدمغتهم وتركيبهم الفيزيولوجى . وكما انعتق المسلم من رقى الفكر اللبرالى أخذ كذلك ينعتق من الفكر الثورى المستورد .

ان الاختلاف بين المسلم وبين هذا الفكر أساسى وكامن فى بعد الاسلام الروحى ، ولكن فيما يخص المجتمع فليس فى الفكر الثورى شىء لا يتسع له الاسلام .

والاختلاف هو اختلاف ظاهرى فحسب اللهم الا فيما يتعارض مع أى حكم اسلامى قاطع .

وبعد ، ماذا نستخلص من هذا . . ؟

**أولا :** أن سيطرة الاسلام الروحية على المسلمين أقوى من أن تزعزعا النكسات والغزو الفكرى وأن حيويته الدافقة كانت حتى فى أوج التسلط الاوروبى كفيلة بانطلاقه وانتشاره .

**ثانيا :** أن فى العالم الاسلامى كله نزعة شديدة الى اصلاح الخلل الذى تم فى المؤسسات أيام الاستعمار والعودة بها الى سابق عهدها مع تجديدها . وأوضح ما يكون هذا فى التعليم والتشريع .

**ثالثا :** أن عهد الافتتان بالغرب وحضارته قد قارب على الانتهاء ، وأنه بدأ يرفض الفكر اللبرالى الاوروبى الذى وضع نفسه فى خدمة البورجوازية والاستعمار والفكر الثورى المادى . وأن فى هذا شبهة بما تم فى العصر العباسى من رفض لما لا يتفق مع الاسلام من الحضارات الاخرى .

# النبي الإسلامي

للدكتور أحمد الحجى الكردى

قد يكون هذا الموضوع غريبا لأول وهلة إذ يقول بعض القارئ ما علاقة الاسلام بالزى ، وهل له فيه حكم ؟ اليس الاسلام دين الحرية والانطلاق من القيود ؟

لكن الجواب على ذلك واضح ولا يحتاج الى غوص وتعمق ، فالاسلام حقا دين الحرية الى غايتها ونهايتها ، الحرية غير المحدودة إلا بحدودها هي نفسها . فالاسلام كفل الحرية للناس جميعا لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة ، ولا بين عربى وغير عربى ، أو بين غنى وفقير ، أو كبير وصغير . . والحرية ملك الجميع بقدر متساو بينهم وهى حق لهم جميعا ، لكن هذه الحريات لا بد وأن يتماس بعضها مع بعض فى خطوط تماس تشكل الفاصل بينها المحدد لحدودها ، فحرية الانسان لا بد وأن تنتهى عند نقطة انتهاء حرية غيره فى موقع التماس والا كان الاعتداء على حرية الآخرين وهذا ما لا يرضى به الاسلام لما فيه من الظلم الذى جاء هو لتغييره ورفعته .

وبذلك تكون الحرية قد حدثت نفسها بنفسها  
حفاظا على كيانها وجوهرها ، دون أن يكون للإسلام  
فى هذا شىء غير بيان هذه الحدود التى تضمن  
للجميع قدرا متساويا من الحرية .

وانطلاقا من هذا المبدأ الإسلامى العام فى تكريم  
الحرية وصيانتها والحيلولة دون اعتداء بعض الناس  
على بعض فإن الإسلام يقرر أن للمسلم أن يتخذ  
الزى الذى يراه ويناسبه دونما قيد أو شرط إلا أن  
يكون فى ذلك اعتداء على حرية الآخرين ، فإذا كان  
فى هذا الزى اعتداء على حرية أحد فإنه يعتبر ممنوعا  
صونا لحرية الآخرين التى يحرص الإسلام عليها ، ولا  
غرامة فإن فى بعض أنواع الزى ملبسا كان أو غيره  
تعديا على الكثير من حريات الآخرين فى أخلاقهم  
وسلوكلهم وتربية اولادهم وغير ذلك .

فلكل امرئ الحق بل هو مسؤول عن حفظ  
أخلاقه وأخلاق من يعوله ويلى عليه من الجنوح  
والانحراف بل هو مسؤول عن أخلاق المجتمع  
الإسلامى كله ، وفى بعض أنواع الزى استهتار بهذه  
الأخلاق ، ودعوة الى ما يجافيهما مما يحول بين المسلم  
وبين ما يتطلع اليه من مستوى أخلاقى رفيع دعاء  
الإسلام اليه .

وجمعا بين المبدأين . مبدأ صون الحريات  
وحمايتها ، ومبدأ عدم اعتداء بعضها على بعض فقد  
أبان الإسلام عن بعض القيود فى اللبس التى يعتبر فى  
تجاوزها اعتداء على حريات الآخرين .

#### وأهم هذه القيود :

١ - أن لا يكون اللباس كاشفا للعورة أو لجزء  
منها ، وعورة الرجل هى من السرة الى الركبة ، أما  
عورة المرأة الحرة فهى جميع بدننها إلا الوجه والكفين  
والقدمين فى قول جمهور الفقهاء .  
وعلى ذلك فإن أى لباس ينكشف معه فخذ  
الرجل أو بطنه ، أو ينكشف معه شعر المرأة أو  
ساعدتها أو ساقها ، أو غير ذلك يعتبر لباسا ممنوعا  
محرمًا لما فى ذلك من دعوة ضمنية الى الرذيلة

والتحلل الخلقي الذى لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، وفى ذلك اعتداء كبير على أسس ما تكفله الحرية لكل انسان من المبادئ وهو مبدأ حرية العيش فى مستوى أخلاقى رفيع .

ولا يجوز أن يقال بحال : ليفلق الانسان على نفسه الباب ولا يتعرض للآخرين ، ولا يأبه بهم ولن يناله بعد ذلك منهم أى اذى . ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أى انسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق اذى بالآخرين فيها ماديا كان ذلك الأذى أو معنويا . ألا ترون أنه لا يقال لولى من قتلته سيارة فى شارع عام « لو كان هذا القاتل فى بيته لما قتلته السيارة وبالتالي لا مسؤولية على القاتل » وإذا ما قيل ذلك اعتبر شذوذا مردودا على صاحبه ، لأن الشارع العام ملك لكل الناس ، وعلى كل الناس أن يبتعدوا عن اىذاء بعضهم فيه . فكذلك اللباس لا يجوز أن تتعدى فيه الحدود التى يلحق منها ضرر بالآخرين ، مثله مثل السيارة تماما لا فارق بينهما الا من حيث أن ضرر السيارة مادي وهذا ضرره معنوى ، وهو فارق غير مؤثر هنا .

بل أن النظرة المستهترة يلقي بها الرجل الى امرأة فى الشارع ، أو تلقى بها المرأة الى الرجل فيه تعتبر أمرا ممنوعا شرعا بنص كتاب الله تعالى حيث يقول : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ ابْصَارِهِمْ » ويقول : « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُضْنَ مِنْ ابْصَارِهِنَّ » لما فى ذلك من اعتداء على حرية الآخرين فى السير فى الشارع العام فى أمان وسلام بعيدا عن الفساد ومسيباته .

٢ - أن لا يكون اللباس شفافا يشف عن العورة تحته ، لأن الشفافية هذه مثل الكشف تماما ان لم تكن أشد منه اغراء ودعوة الى الفساد ، ولأن الثوب الشفاف لا يعد ساترا ، والله سبحانه ورسوله قد أمرانا بالاستتار ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال ( صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

يضربون بها الناس ؛ ونساء كاسيات عاريات .  
مائلات مميلات . رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ؛  
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من  
مسيرة كذا وكذا ، رواه مسلم .

٣ - أن لا يكون اللباس ضيقا يشكل حجم  
العورة تحته . كالسروال الضيق الذى يشكل حجم  
الفخذ والمعطف الضيق الأكمام الذى يشكل حجم  
الساعدين بالنسبة للمرأة ؛ وكذلك الثوب الضيق  
الذى يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة .. وغير  
ذلك . لأن فى هذا كله نوع اغراء وإيذاء ونيلا من  
حرية الآخرين فى المحافظة على أخلاقهم وعفافهم ؛  
ولأن فيه نوع كشف للعورة بالجملة .

٤ - أن لا يكون فى اللباس نوع خيلاء وكبر  
واسراف ؛ لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - نهى  
عن ذلك ؛ والقرآن الكريم جاء بتحريمه أيضا ، فقال  
تعالى : « **ولا تمشى فى الأرض مرحا انك لن تخرق  
الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » ، وقال جل شأنه :  
« **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » . وقال - صلى الله  
عليه وسلم - ( من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه  
يوم القيامة ) رواه البخارى . ولم لا فان فى التكبر  
اعتداء على مبدأ المساواة التى قررها الله تعالى  
ترسيخا لمبدأ الحرية ، ثم ان الاسراف داء اذا انتشر  
وباؤه بين أفراد الأمة الحق بها الخراب والدمار وهو  
ما لا يرضى به الاسلام .

٥ - أن لا يكون اللباس زيا خاصا لغير  
المسلمين ، فاذا كان كذلك كان فى ارتدائه تشبه  
بهم قد يجر الى تقمص شخصيتهم والتخلّى عن  
الشخصية الاسلامية بكل مقوماتها شيئا فشيئا ، وفى  
هذا من الخطر على الأمة ما فيه ، وهل كان أول  
ضعفنا الا التخلّى عن تقاليدنا واستيراد تقاليد غريبة  
عنا فى الملبس والمسكن .. ( من تشبه بقوم فهو  
منهم ) .



وهذه أمم الأرض كلها تحافظ على تاريخها وتقاليدها بما فى ذلك أرقى الأمم ، ونظرة عجلى الى هذه الأمم من اقاصى الصين الى اواخر أوروبا كافية لوضع النقاط على الحروف فى ذلك ، فما بال بعضنا يستسيغ التخلّى عن هذه التقاليد غير آبه بما يترتب على ذلك من أفدح الأضرار .

ولكن ليتنبه هنا الى أن ذلك لا يعنى بحال أن نصم آذاننا عن كل جديد ، فان الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، بل يعنى أن نفتتح آذاننا وعيوننا وكل حواسنا جيدا عندما نقع على أى جديد فنقيسه بعقولنا ونزنه بمبادئ اسلامنا ، ثم بعد ذلك لنقرر أخذه أو تركه ، فاذا أخذناه فلنحاول أن نصيغه بصيغتنا الخاصة قطعا لمعنى التبعية فيه ، فقد ثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه أمر اصحابه الأبرار مرة بصوم يوم عاشوراء ، فقالوا له : يا رسول الله هذا يوافق صوم اليهود - لأنهم يعلمون أنه لا يحب الأخذ عن أحد من غير المسلمين - فأجابهم بقوله : نحن أحق بموسى منهم ، نغيره فان جاء العام القابل نصوم معه يوما قبله أو يوما بعده . ( أو كما قال ) ، وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأصحابه مرة أيضا ( إن اليهود والنصارى لا يصبغون - أى شيب شعركم - فخالفوهم ) متفق عليه . والرسول - عليه الصلاة والسلام - هو قائدنا ومعلمنا وهو الأسوة الحسنة فينا .

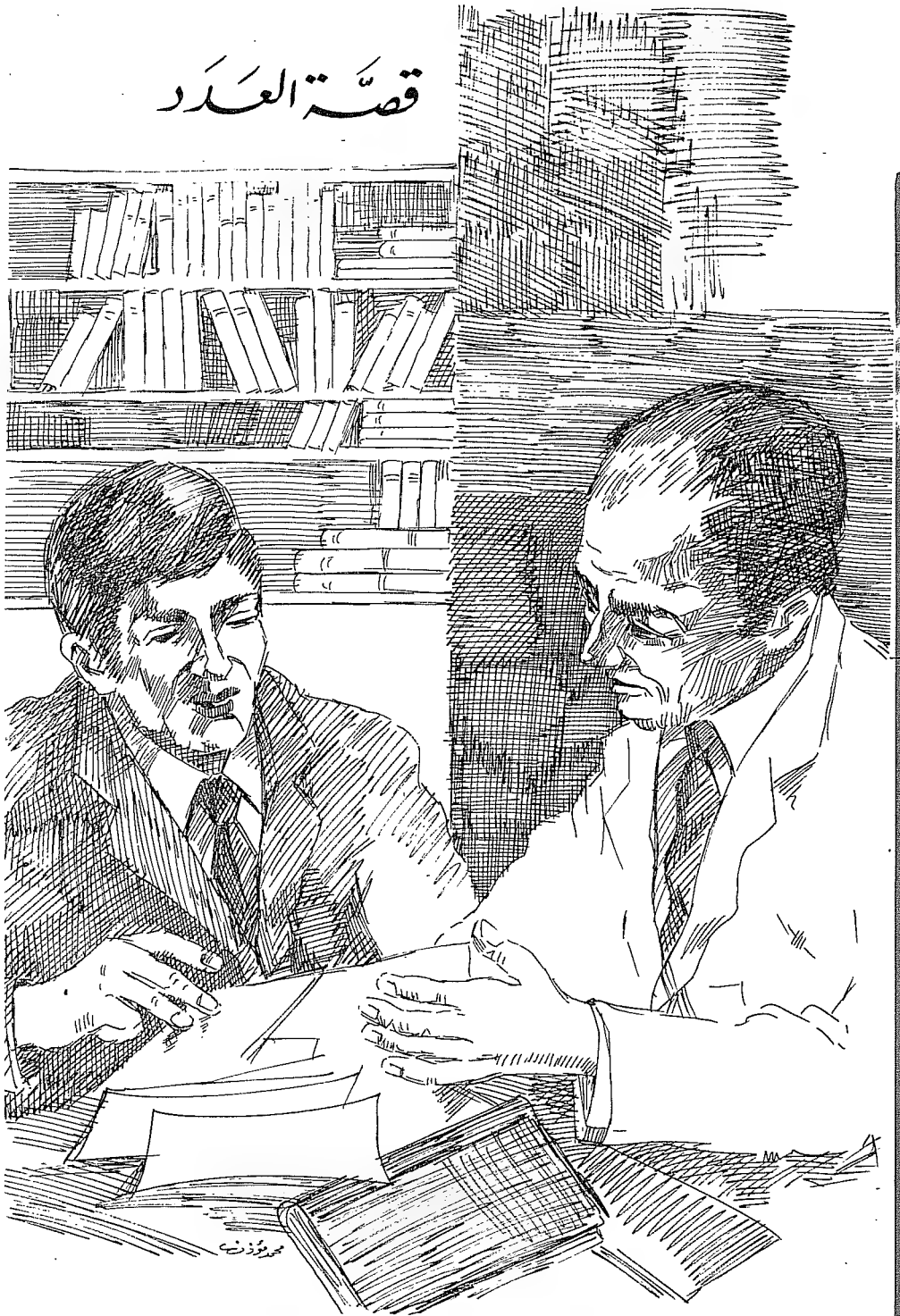
٦ - أن لا يكون فى لباس الرجل ما يشبهه لباس المرأة ، ولا فى لباس المرأة ما يشبهه لباس الرجل وذلك لنهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فقد روى عن ابن عباس أنه قال : ( لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ) رواه البخارى ، وقد روى أبو هريرة أيضا : ( لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم - الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل ) رواه أبو داود بإسناد صحيح .



ذلك أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى وأودع  
فى كل منهما من الصفات ما يجعله أهلاً لتحمل  
مسؤولياته الخاصة به فى هذه الحياة ، وفى ارتداء  
أى منهما لباس الآخر تغيير لنفسه ومشاعره مما  
يعوقه عن القيام بالأعباء الحياتية التى خلقه الله  
تعالى لها . فىكون بذلك مفوتاً على الأمة فرداً نافعا  
طالما عملت على اعداده والعناية به ، ذلك أن لطريقة  
الإنسان فى لبسه ومأكله ومسكنه وحديثه . . أثراً  
فى نفسه وسلوكه ، هذا ما يراه ويشهد به العلماء  
المتخصصون فى الدراسات النفسية والاجتماعية  
بصرف النظر عن عظم أو صغر ذلك الأثر .

هذه هى أهم صفات وملامح الزى الإسلامى ما  
يتعلق منها باللبس للرجل والمرأة ، رأينا كيف سلك  
الإسلام بها مسلك الأخذ بالحرية المقيدة بما يحفظ  
حرية الآخرين فى أمورهم المادية والمعنوية وكلى رجاء  
أن يتفهمها شبابنا وشاباتنا ويدركوا مغزاها العميق  
ويلتزموا بها محافظة منهم على استقلاليتهم وبعدا بهم  
عن التسكع على موائد أزياء الأجانب التى تأتينا كل  
يوم بجديد ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، يحمل فى  
طياته كل ما يكفى للقضاء على أخلاقنا وصمودنا  
ومثلنا ، وهو ما لم تستطع فعله سيوف الصليبيين  
وحروبهم التى امتدت قروناً . . « فهل من مدكر ؟ »

# قصة العَدَد



# العودة لمحمد

للاستاذ / محمد رشدى عبيد

حجرة صغيرة ضمت رفيقين جمعهما طلب العلم فى ديار الغربة أما احدهما ، وهو حسن فكان رضى النفس ، جم الأدب ، حلو الحديث ، حسن المعاملة ، لطيف المعاشرة ، مؤمنا بالله تعالى أعقق ايمان واصدقه مواظبا على المبادات يؤديها بخشوع وشوق ، وكان يملك اضافة الى علمه الدينى ، ثقافة عصرية ، واطلاعا على العلوم الحديثة ، يتابع ما جد من أخبارها ، وما اكتشف من أسرارها ، ليزداد ايمانا الى ايمانه .

لقد وزع أوقات فراغه بين العبادة والتأمل ، وبين المطالعة ، ولقد كانت مطالعته تشمل كل كتاب يعرض تيارا فكريا مستحدثا ولو لم يرقه ، وكل لون من ألوان الثقافة ولو تضاد مع ما وقر عليه قلبه ، واشتملت عليه نفسه ، فأما غايته من الاطلاع على النظم والآراء البشرية المستحدثة بعيدة عن هدى الله فهى معرفة عمق المنحدر السحيق الذى هوى اليه الفكر الانسانى ليقدر قيمة موقفه الفكرى السامق ، لقد كان ينظر الى ضحالة المستنقع الوبىء ، ليتذوق عذوبة النبع الذى ورده ، ويرتوى من منهله الصافى حتى ينتشى . . . استطاع الأستاذ حسن كما كان يلقبه زملاؤه بسيماء الذى تعلوه الهيبة ، ووجهه الروحانى المشع وحديثه الأسر ، ان يسيطر على القلوب ويجتذب اليه النفوس ، وما أكثر الشاردين الذين أعادهم الى حظيرة الحق ، حيث الروح . . والحياة الايمانية ، حيث سلامة التصور ونظافة القلب . . واطمئنان النفس وراحة الضمير .

أما رفيقه ( سعيد ) فكان بالرغم من رقة حاشيته ، وظفره ، وبشاشته البادية على وجهه المستدير يبدو في أحاديثه وآرائه ، وكأنه يحمل اتجاهها فكريا مناقضا لاتجاه صاحبه ، وكان الاستاذ ( حسن ) يملك موهبة غريبة في معرفة الحالة النفسية التي يتصف بها كل من يقابله ويحادثه وذلك من خلال التدقيق والتفرس في سيما وجوهرهم وحركاتهم والمواضيع التي يودون مباحثتها معه ، ولهذا فقد ساورته شكوك في أن رفيقه ( سعيد ) يعاني من آلام نفسية تضطرم نيرانها بين جنبيه بالرغم من اجتهاده في اخفائها عن مساحبه وكافة زملائه ، ثم يتيقن الاستاذ بان تهلل أسارير سعيد ، ودعاياته البيرة ، ما هي الا طلاء لامع لنفس متألمة منهدة البنيان ، وان مرجه المصطنع هو الاستار يخفى تحته القلق الذي يعانيه ، وذلك حين رجع الى البيت في يوم مشهود ، وما أن اقترب من الباب حتى سمع من داخل الحجرة انينا تحول الى بكاء مر .. استولت الدهشة على الاستاذ حسن وردد مع نفسه : الله .. انه سعيد ... ولكن ماذا أصابه ؟ .. ما الذي أحدث هذا الانقلاب المباغت في شعوره .. ؟ وبادر الى طرق الباب طرقات قوية متتالية على غير عادته — كانت تمبر عن اللهفة والقلق اللذين يعتلمان في صدره اشفاقا على رفيقه . نهض ( سعيد ) بخطى متثاقلة ، وجفف من دموعه المنسابة على خديه ، ثم فتح باب الحجرة .. دخل الاستاذ وأغلق الباب وراءه برفق ودون أن يحول نظرانه المستغربة عن وجه رفيقه ، كانت ملامح سعيد لا تزال تنطق بالآسى ، وتمبر عن ما يجيش في صدره من انفعالات حبيسة ، ولم يكن الأستاذ حسن قد أخذ مقعده من الأرض حين بادره الى السؤال عن سبب بكاء رفيقه ، قال :

— أخى ، لماذا كنت تبكى ؟ لقد كان عهدى بك أن أراك جذلانا ، تملأ جو الغرفة غناء ، ولا تكف عن دعاياتك الحلوة .. !!  
أجاب سعيد بصوت ملؤه الشجن : أنا لم يصبنى يا أخى أى عارض ، وأنا لست الا ذلك المرح ، ولكن لأصارك : انى أحس بإحساسات الية تدمر كيانى ، وتهد من قواى ، وتذيقنى مر العذاب .. كما أنى لا أشعر بالراحة الا اذا بكيت .. وليست هذه هي المرة الاولى التي أبكى فيها ، بل أننى قد لجأت الى الوسيلة كلما انتابتنى تلك المشاعر لآخف من حدتها ، وأطفئ نيرانها المستمرة التي تلهب وجدانى ، ولكنى أجتهدت أن أخفى عنك بكائى ، كي لا أقلق راحتك ، وأنفص سماعتك .

الأستاذ مستغربا : وما نوع تلك الأحاسيس التي تعاني منها الى هذه الدرجة .. انك تمشى كما تحب وتهوى .. لا ينقصك المال .. أما الشهرة فأنت في طريقك اليها .. أو هي في طريقها اليك ، ثم انك لا تنزع عن نفسك أية شهوة ، ولا تكبت أية رغبة أو نزوة ، لانك لا تعترف بوجود رقابة خارجية عليك ، ولا تبالى بأعراف المجتمع أو مبادئ الأخلاق ، الست تسدعى بأن الانسان وجود مستقل فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الوجود ، وبحرية كاملة ، وبدون قيود أو حدود ؟ اليس الألم الذي تعاني منه قيذا يشل الطاقة الإنسانية ويحد النشاط البشرى ، فلماذا لا تحرر نفسك من عقابله ؟ !

أجاب سعيد بصوت يائس : أخى حسن لو كانت تلك الآلام والمشاعر قيودا خارجية لتحررت منها ، ورميتها بعيدا عنى ، ولكنها تنبع من أعماق قلبى

وصميم وجدائى ، ولهذا فلا سبيل لى الى ازالتها ، ثم أردف بعد تنهدة عميقة :  
إنى لا أرى نور الأمل فى انكشاف مصابى ، وباعتقادي أن مأساتى سترافقنى  
الى القبر ، ثم سأل مستعظما :

— هل تسمح لى أن أسرد لك قصتى بشيء من التفصيل ، عسى أن  
أجد عندك الحل المرتجى لمشكلتى أو أشعر بدفء اليقين فى رحاب قلبك الكبير  
الذى وسع آلام كثير من الناس وآمالهم ، وإن لم يكن ذلك فقد أحس ببعض  
الارتياح ، وأتذوق حظا من الانشراح عندما أجدك تشاركنى آلامى وتسرى  
عنى بعض ما أعانى .. ؟

الأستاذ : سأكون سعيدا إذا ما استطعت أن أقدم لك العون الذى تبغيه ..  
إننا معاشر المؤمنين نتقرب الى الله بتفريج كرب المصابين ، وادخال  
العزاء والسلوى الى قلوب المنكوبين ، ومسح الدموع المتحدرة من عيون  
البائسين ، وأضاءة أسرجة الأمل فى أفئدة القانتين ، قل أسمع ، ولا تخف عنى  
شيئا من جوانب المشكلة وأسرارها ومواردها ومصادرها عسى أن يوفقنى الله  
تعالى لحلها .. !!

سعيد : أخى لقد نشأت فى أسرة لا تؤمن الا بالعلم المادى ، ولا توقن  
بوجود شيء لا تقع عليه الحواس ، أن والدى يرفض وجود عالم الغيب ، أنه  
يعتقد بأن المصادفة هى التى خلقت الكون ، وأن الإنسان إنما أصله حيوان بلغ  
هذه الدرجة من التطور والرقى بفعل عوامل الطبيعة ومتطلبات البيئة ، وهو  
يرى فى هذه الحياة الفرصة الوحيدة التى يملكها الإنسان ثم يصير الى العدم ،  
ولهذا فإنه ينتهب للذات نهبا ، لا يبالى بدين أو خلق أو عرف ، وقد نشأت  
على ما يعتقدده ، وانسجمت مع هذه الأفكار ردحا من الزمن ، الا أن صوتا ما بدأ  
ينبعث من أعماق فؤادى ، لقد بدأ خافتا خفيضا ، لكنه لم يزل يعمل ويعمل  
وزادت الأوقات التى ينبعث فيها ، حتى أنه أخذ يكدر صفو أوقاتى ، ويحرمنى  
المتعة الملمثة بملذاتى ، ولا يزال يطرق فكرى بتساؤلاته !  
الأستاذ : وماذا يقول ذلك الصوت .. ؟

سعيد : أنه يقول : أن خالقاً قد خلقك ، وخلق كل هذه العوالم البديمة ،  
ووضع فيها القوانين والنواميس الثابتة .. أنه مصدر كل هذا التناسق والجمال  
والإبداع فى المخلوقات .. كل مظاهر الوجود ونواميسه تدل على عظمته ،  
وحكمته ، وعدله ، ورحمته !!

تهلل وجه الأستاذ حسن فرحا وسرورا ، وشمر بسعادة غامرة ثم قال  
بلهجة الواثق من نفسه :

— أنه صوت الايمان المحبوس .. أنه نداء الفطرة التى استيقظت من  
غفوتها .. يابى الله الا أن يتم نوره ، ويبين الآيات الدالة على وجوده فى  
الأنفس والآفاق .. أنه ... موجود .. قاطعه سعيد بلطف قائلا :

— أخى أما وجوده فقد توصلت اليه بعد تجربة مريرة .. أنه يتجلى  
فى كل شيء ، كل مظاهر العظمة والجمال توصل اليه ، الجبال السابقة التى  
تبهر الأنفاس ، الوديان العميقة التى تدهش المتطلعين ، أصوات الطيور  
الشجية ، انغام مظاهر الطبيعة المتناسقة جمال الطفولة وبراعتها المؤنسة ،  
عبق الأزهار وأريجها العاطر ، جمال الفجر الوليد ، حمرة الشفق وقت  
الأصيل ، همسات الألطاف السارية فى الليل ... أين المصادفة العمياء من  
كل هذا الجمال ، بل هو الله ... ولكن !!

**الاستاذ : لكن ماذا يا أخى .. ؟**

**سعيد :** ان هناك تناقضات تعتمل فى فكرى ، أشعر معها بمعيشة الحياة ، وانعدام الحكمة فى بعض حوادثها بل انى لأشعر بالظلم البين فى بعض وقائعها ، انى لأتساءل : لماذا يموت أحبائى وذوو قريائى ثم سأتبعهم أنا فى الطريق اللأحب الممتد ؟ أيعقل أن تنتهى بالموت حياة هذا الإنسان السذى لا يتشوق لشيء كما يتشوق للخلود ، ولا يحب أمرا كما يحب البقاء والامتداد ؟ ما علة اختلاف الناس فى الحظوظ الدنيوية التى وهبها ؟ ما الحكمة من وجود الشر والمرض والألم ؟ هل من المعقول أن يستعمل الباطل ، ويضام أهل الخير ويسام الضعفاء الخسف ، ثم يذهب الكل ولا حساب ! ؟ انه ليقض مضجعى تمزق الأواصر بين الأفراد ، واضطرام نار البغض بين الطبقات ، وتكسك الروابط بين الشعوب ... لقد فقدت السلام النفس .. لقد ضقت بمشاعرى هذه .. انى أريد أن أعيش عيشة سعيدة ولهذا فأنى أغرق مشاعرى طورا فى اللذات ، وطورا الجأ الى وسائل التخدير والتعمية .. فقط لكى أنسى نفسى .. ولكن بدون جدوى يا أخى .. لقد تعبت فى الهرب والاختفاء وأسلمت قيادى للألم !

**الاستاذ حسن :** مهلا يا أخى ، أما الحقيقة الكبرى فقد توصلت اليها وأما تلك التناقضات التى تعتمل فى أفكارك فهى نفسها سوف تتخض عن الإيمان الوليد .. بل هى تبشير فجر العقيدة التى سوف تطمئن روحك المعذبة وتقر نفسك القلقة . وكانت علائم التطلع والأهتمام قد بدت ظاهرة على وجه سعيد .. ما أشد حاجته الى النور .. ما أعظم حاجته الى الزاد الروحى الذى حرم منه سنين طويلة !! واستطرد الأستاذ يقول :

— فأما وقد توصلت الى وجوده ، فما عليك الا أن توثق صلتك به ليمدك بالهدى واليقين ، ويمنحك سلامة الإدراك ، وصفاء الفكر ، وراحة البال ، وأطمئنان الضمير اتعرف عليه من خلال كتابه الأخير للإنسانية ( القرآن ) الكتاب الذى لم تبل جدته السنون ، النبع الذى يفيض بالخير والنور ، انه وصفة ناجحة لجميع أمراض النفس والفكر والقلب ، فاذا ما حسنت صلتك بكتابه ، فقد حسنت صلتك به ، واذا ما تم ذلك فسيكون لك ريك السند المتين فى المحن ، سيملا نفسك رضى ، ويشرح صدرك أهلا .. ثم أردف :

— سأحل لك كل المشاكل فى ضوء القرآن بإذن الله ، فاسمع .

— نعم ..

— فأما رغبة الامتداد فى الانسان ونزعة البقاء والخلود فى نفسه فان كتاب الله سبحانه لم يهملها ، بل أنه قد جعل الحياة فى الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية التى سوف يحيها الانسان ليكمل وجوده الناقص على الأرض ، وليشبع حاجته الى الخلود ، ويطمئنه على مصيره بعد الموت ، فما الموت الذى ترهبه الا معبر من حياة زائلة الى حياة باقية ، أو من قاعة امتحان الى حيث الدار التى تستعصى على الغناء وترفض العدم ، هناك يثاب المحسن ، ويعاقب المسىء ، وينال المؤمنون جزاء اتمابهم وتضحياتهم كاملة غير منقوصة ، وهناك يقتصف للمظلومين ممن ظلمهم ، ويدخل الطغاة والمتجبرون أشد العذاب . اسمع قوله تعالى « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم » .

فقر عينا وطب نفسا يا صاحبي اذا ما نزل الموت ، أو قربت أيامه فان الجنة قد تزينت وتجهلت للقاء عباد الله الصالحين ، فاجتهد أن تكون منهم ، ولا عليك اذا من القدر المحتم اذا ما اتبعت الهدى وقصد السبيل ... هك البشارة الالهية : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

**سميد :** اذن فالدنيا دار بلاء وليست دار جزاء ووفاء .

**الاستاذ :** نعم . ولهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يقيد ارادة البشر الحرة ، بل يدعهم وما يعملون حتى حين ، فهو إهمال وليس إهمالا ، والكل منظرون ليوم لا ريب فيه ! اسمع قوله تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » .

**سميد :** فما هي علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبها ؟

**الاستاذ :** هناك نقطتان أحب بيانها في هذه الشبهة التي تتردد في صدرك ، أولاها ... انه يجب تطبيق الشريعة الالهية في المجتمع الذي يجب أن يصل أو يصل أكثر افراده الى المستوى الذي ينسجم ويصلح ويتقبل المبادئ الاسلامية ، تلك الشريعة التي تعطى كل ذي حق حقه ، وتعديل كل المعدل في توزيع الخيرات والمنجزات ، وتضمن حقوق جميع الافراد والطبقات ، ولكن حتى عند قيام ذلك المجتمع الصالح ، المتكافل ، المتساند ، فان التفاضل في الرزق لا ينعدم ، ويبقى الاختلاف في مقدار الحظوظ المملوكة ، والطبقات المنالة والجاه المحرز ، تلك سنة من سنن الله لم تتبدل ولن تتبدل قال تعالى « الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » ولكن سننوب الى حكمة الله العليا مرة أخرى ونستشف طرفا منها فنقول : ان الله تعالى يبث في عباده بالخير والشر : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » وذلك ليعلم مدى صبرهم ، ودرجة شكرهم ، وصلابة ايمانهم ، ان هناك بعض النفوس يطغيها الخير ، وبعضها يقسيها النعيم ، فتنسى الله وتحرم ذواتها من نعيم الآخرة ، ولهذا يتفضل الله تعالى على كل طائفة بقدر من متاع الدنيا يلائم حالتها ، ويناسب طبيعتها ، حتى لا تضل ولا تشقى .

كما أنه لا بد من وجود الاختلاف في الثروة بين النشيط الدؤوب ، والمتعطل الكسول ... بين المقتصد في انفاقه وصرفه ، والمُسرف المبذر الذي ينفق ماله بغير حساب فيها ينفع ولا ينفع ... بين من جعل الآخرة أكبر همه فهو يقدم من ماله مهرا سخيا للجنة التي جعلها نصب عينيه ، والمقتر السذی لا يكاد يؤدي الحق المفروض في حاله للسائل والمحروم .

**سميد :** ولكن ما الحكمة من ابتلاء الله لأعبائه بالأمراض والآلام والمصائب بينما أعداؤه يسرحون ويمرحون في الدنيا ، يتمتعون بطيبات الحياة ، لا يباليون بدين ولا يلتزمون بحد من حدود الله ؟

**الاستفاد :** أما احبائه فإنه يتلهم ليكشف صدق دعواهم ، ويتحقق من نواياهم وهو أعلم بها ، ثم ان هذه الآلام والمحن التى تصيب المؤمنين لهى خير مفجر لينابيع الرحمة التى تفيض من قلوبهم على عباد الله المحرومين ، وهى اجدى وسيلة لتقوية اتصالهم بربهم ، وتحسين علاقتهم به وتخليص قلوبهم من التوجه لغير الله والتعلق بعرض من الاعراض الفانية ، انها اضافة السى ذلك سلسلة من التمرينات المتعبة التى تؤهل المتقين لدخول جنة الله الخالدة التى لا يستحق دخولها الا من طهرت نفسه ، وعظم صبره ، وهانت عنده التضحيات . أما أعداؤه الذين انحصرت همهم فى نيل ثواب الدنيا ، وضاعت آمالهم فلم تتعد حدود الارض ، فلا بأس بالتفضل عليهم بشئ من النعيم الظاهرى الذى يتقلبون فيه .

**سعيد :** وماذا تقصد بظاهر النعيم .. ؟

**الاستفاد :** أقصد أن النعيم الحقيقى حتى فى هذه الدنيا ليس فى زينة الحياة وزخارفها . بل ان سعادة النفس ، وراحة الروح ، وطمانينة الضمير لهى من أعلى اللذات وأدومها . ان كثيرا من المؤمنين يعيشون فى حرمان من لذات الدنيا ولكنهم سعداء أكثر من أصحاب المال والجاه والنعيم وكما قال تعالى : « كلا نهد هؤلاء هؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظورا » ولكن سوف يقال يوم القيامة للكافرين : « أذهبتم طياتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون » . أما المؤمنون فينالون جزاءهم الاوفى فى ذلك اليوم .

انك تنظر الى جزء من قصة الحياة الإنسانية وهى الحياة على الأرض .. لكن القصة لم تكمل بعد فلا يضق صدرك ، ولا تذهب نفسك حسرة ، أن الناقد الأدبى ليحكم بتراجيدية القصة اذا كانت نهايتها مؤلمة وغير عادلة .. لكننا لم نر نهاية قصة الوجود .. فهذا المصاب الذى تشفق عليه الآن ، وتأثر لحاله ، قد تمنى ان تكون فى محله فى الآخرة ، وانما العبرة بالخواتيم .

**سعيد :** فما هى الحكمة من اختلاف المؤمنين فى عظم المصاب . ومقدار البلاء ؟

**الاستفاد :** ان عظم المصاب يتوقف على ايمان الشخص ، فكلما كان ايمانه راسخا زيد بلاؤه ليمس نفسه ، ويتأثر به كيانه ، وتدفعه شدة معاناته الى الاستنجاد بقوة الله والاسترشاد بهديه ، والتضرع على عتبة بابه ، والتبرؤ من الحول والقوة الإنسانية والالتجاء المطلق الى الله تعالى ، والتعرف على ضعف نفسه ، حتى لا يأخذه الغرور بسلطانه ، ويستغنى بقوة نفسه عن الاحتماة بقوة الله ، اما من ضعف ايمانه أووهنت نفسه ، فيبتلى بالقدر الذى تتحمله نفسه ، ويثبت له ايمانه . ولهذا ورد فى الحديث الشريف « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه » ولهذا فقد يتألم الإنسان لشخص ما أصابه بلاء شديد فى نظره وهو يستغرب فى تحمله

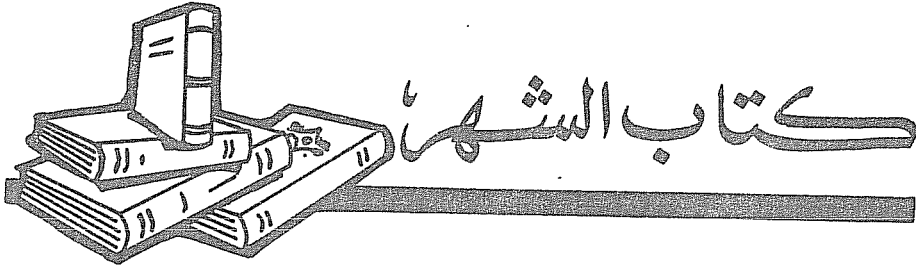


له ، ولكن هذا البلاء ليس شديدا على صاحبه الى تلك الدرجة الكبيرة ، كما ان الناس يختلفون فى نوعية المصائب التى يتأثرون بها فقد يتأثر أحدهم لموت ولده تأثرا بالغا ، بينما هو لا يتألم كثيرا لخسارة فادحة فى ماله وبالعكس ، كما انهم يختلفون فى درجة وحدة الشعور بالمصيبة والاحساس النفسى بوقعها ، لهذا كله فان المؤمن لا يسعه الا الرضا والتسليم بالحكمة الالهية فى اختيار عبيده بشتى أنواع المحن والابتلاءات والمصائب .

**معهيد :** لقد سكبت فى نفسى ايمانا راسخا ، لا تؤثر فى بنيانه الشبهات ولا تزعزعه المصائب ولكن شبهتى الأخيرة هى معرفة سر ما نرى فى العالم بأسره من الشر ، والاختلاف ، والتضاد ، والضغن ، والحروب والفتن ؟

**الاستاذ :** السر واضح ، والسبب بين ، عندما لا يكون للناس جميعا مرجع واحد يؤوبون اليه فى اختلافاتهم ، ويثوبون بفضلهم الى رشدهم ، ويتبينون بواسطته الحق من الباطل ، هذا المرجع الذى ينظر الى الجميع نظرة واحدة ، نظرة حب ورحمة وعدل ، ثم يشرع للجميع شرعة تكفل حقوق الجميع وتصلح حالهم ، وتساوى بينهم ، حينئذ — حين فقد الناس أو اعراضهم عن هذا المرجع — سيختلف الناس باختلاف مصالحهم ، فتنوع اتجاهاتهم ، وتتباين آراؤهم ، وتتعدد قياداتهم تبعا لذلك ، فيخطط كل شخص لنفسه ، وكل طبقة لمصلحتها ، وكل شعب لمنافعه ، ويتدخل الهوى الانسانى ، والعقل الانسانى القاصر ، والعلم الانسانى الجزئى فى رسم النظم والمبادئ والمخططات الخاصة لكل منه ، فيقع التصادم بين مختلف الفئات ، فتسود الفوضى ، ويعم الاضطراب ، وتتقطع الأواصر ، وتوقد الحروب وتثار الفتن ، ويضرب الظلم أطنابه ، ان ما تراه من هذه المظاهر المؤلمة ليست الا من صنع الانسان الذى غفل عن ذكر الله ، وأعرض عن شرعه ، واتبع هواه ... سعيد : اذا ما أردنا سعادة نفوسنا ، وسلامة عقولنا ، وصلاح أحوالنا ، واستقرار مجتمعاتنا ... اذا ما رغبنا فى خير الانسان ، وعزمننا على تخليصه من آلامه وعذابات المصيبة ، وشفائه من أمراضه النفسية ، واشباع خوائه الروحى ، وحل مشاكله المعنوية .. اذا ما أردنا للانسانية جمعاء الخير والسلام ، والتقدم والتحاب ، فلنعد الى الله ، لنعد الى شرعه ..

**معهيد :** أما أنا فسأعود اليه .. سأعود اليه .. سأبذل ما فى وسعى لابلغ هذا الخير لكل انسان تجمعنى به علاقة قرابة أو صداقة أو زمالة .. ثم انى لا أنسى فضلك العميم لقد جعلك الله سببا لهدايتى .. وقاربا لنجاتى .. سأكون وفيا لك ما دمت .. وكان الاستاذ يردد فى نفسه الحديث النبوى الشريف « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » ثم تمت « الحمد لله » ..



# عالم الاسلام

تأليف الدكتور حسين مؤنس

عرض الأستاذ احسان صدقي العماد

والمؤلف الذي يعمل حالياً أستاذاً للتاريخ الإسلامى فى جامعة الكويت، علم معروف فى الأوساط العلمية العربية والدولية ، وله باع طويل وجهود مشكورة فى ميدان التعليم الجامعى وفى ميادين البحث والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر فى كل ما يتعلق بتاريخ الإسلام والمسلمين . وكتابه الجديد « عالم الإسلام » يمتاز كغيره من مؤلفاته وأعماله بجدية البحث والرصانة ، العلمية ، وقد تمكن المؤلف بثقافته الواسعة وإشرافه منظوره التاريخى ودقته المعروفة فى الملاحظة والتحرير والاستنتاج من الوصول الى كثير من المعلومات القيمة التى تغلب عليها

كتاب « عالم الإسلام » الذى صدر مؤخراً للدكتور حسين مؤنس يعتبر بحق دراسة جديدة فى تكوين العالم الإسلامى وخصائص الجماعات الإسلامية . وتبرز أهميته للمكتبة العربية فى كونه محاولة رائدة فى ميدان التاريخ الاجتماعى الإسلامى الذى لا يزال ميداناً بكرًا يستنهض همم الباحثين الجادين . وقد أحاط الكتاب فى صفحاته الستائة بأهم الظواهر الاجتماعية العامة التى اشتركت فيها كل المجتمعات الإسلامية خلال المصور الوسطى . فكان ذلك كما يقول المؤلف بمثابة مقدمة أو مدخل للتاريخ الاجتماعى لبلاد الإسلام .

الجدة والموضوعية . وإذا كان المستشرق الألماني ادم ميتز (١٩١٧) قد تطرق الى بعض ظواهر المجتمع الاسلامى فى كتابه « نهضة الاسلام » الذى نقله الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده بعنوان الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، فان دراسة ميتز برغم أهميتها وريادتها لم تشمل دراسة الظواهر الاجتماعية الاسلامية فى جميع بلاد الاسلام منذ نشأتها وحتى بداية النهضة الاسلامية الحديثة كما فعل الاستاذ مؤنس ، فضلا عن الروح والمنظور الاسلامى الذى نحسسه بوضوح فى كتابه « عالم الاسلام » ضم هذا الكتاب فى دفتيه ستة فصول ، والحق المؤلف بكل منها قائمة بالمراجع الخاصة به مما يفتح آفاقا لطالب التوسع فى أى بحث من مباحث الكتاب .

وجاء الفصل الاول تعريفا موجزا بعالم الاسلام كمدخل لا بد منه لتحليل بناء المجتمع الاسلامى وتبيان ملامحه المميزة . وسلط فيه ضوءا كاشفا قويا على قيام الجماعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، والاسس الاجتماعية التى أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ، والتطور السريع الذى شهدته الجماعة الاسلامية بمعد الرسول . وخلص الى أن هذه الجماعة والدولة الاسلامية كانتا شيئا واحدا حتى انتهاء خلافة عمر بن الخطاب بسبب سير الاثنيتين على قانون أخلاقى واحد والتزامهما مبادئ الاسلام . وبعد ذلك شهد التاريخ الاسلامى بداية الانفصال بين الجانبين ، وتجلت هذه الظاهرة فى أوضح صورها زمن الدولة الأموية ، ثم استمرت ظاهرة الانفصال هذه بعد ذلك ، وأخذ البون بين الجماعة الاسلامية والدولة يتسع حتى أصبحنا نجد اليوم فى كل المجتمعات الاسلامية

كيتين متميزين هما الجماعة والدولة . ويقرر المؤلف أن هذه الظاهرة هى التى جعلت المجتمعات الاسلامية تنظم نفسها بنفسها دون الاعتماد على الحكومات ، الامر الذى يجعل التاريخ الحقيقى للأمة الاسلامية هو تاريخ الجماعات التى تكونت منها . وتناول الفصل بإسهاب ظاهرة انتشار الاسلام وأكد أن الفتوح الاسلامية انما فرضت لكسر الحواجز المادية التى تقف فى وجه الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والقوة الصالحة .

ويقول الأستاذ حسين مؤنس فى هذا الصدد أيضا إن جانباً كبيراً من الفضل فى نشر الاسلام يعود الى قوة هذا الدين الذاتية وفضائله وسلامة مبادئه ، وأن هذه القوة والمبادئ هى السر فى اجتياز الجماعات الاسلامية للاخطار الكبيرة التى تهددت وجودها . وتحدث فى هذا المجال عن مدى انتشار الاسلام فى أوروبا والأمريكتين وأفريقيا ، ولكنه حذر فى نفس الوقت من سياسات الدول الافريقية الحديثة التى تضع العراقيل فى سبيل انتشار الاسلام ، ودعا الى ازالة هذه العراقيل مؤكدا أن الاحصائيات التى تنشر عن عدد المسلمين غير صحيحة وأن عددهم يصل اليوم الى حوالى سبعمائة مليون مسلم .

وتناول المؤلف فى الفصل الثانى قيام الجماعة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة ، والاسس القانونية والاخلاقية والحضارية التى بنيت عليها باعتبار أن هذه الجماعة ظلت المثل الأعلى الذى تتطلع اليه جميع الجماعات الاسلامية فيما بعد . وأشار الى الخطوات المدروسة التى قام بها الرسول الكريم لتنظيم الجماعة الاسلامية الاولى وعلاقتها بسكان المدينة والمقيمين فيها والوافدين

عليها . وقدم الدكتور مؤنسي في هذا الفصل دراسة جديدة ورائدة لدستور المدينة الذي يتجلى في الكتاب السدي كتبه الرسول بين المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم من سكان المدينة ، وبين أهمية هذا الكتاب كوثيقة دستورية من الطراز الاول وصدورها عن التفكير القانوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على ابراز حقوق الجماعة وواجباتها في اتفاق حر واضح باعتبار أن الحرية كانت اساس الحياة في الجماعة التي كانت تضم رجالا احرارا ذوي اعتزاز بدينهم وجماعتهم واثقاصهم . والى هذا الاعتزاز كما يقول الأستاذ مؤنسي ترجع الانتصارات التي كسبوها في ميادين الشرف والجهاد والحكم والادارة . وقدم المؤلف بعد ذلك صورة عامة للمجتمع الاسلامي وملامحه البارزة كما بدت في ايجابياتها وسلبية غير المشرف منها . ووقف طويلا عند الاخيرة بالتحليل والكشف عن الاسباب ، وأوضح أن تلك النواحي ترجع لظروف تاسيسية المت بالمجتمعات الاسلامية في العصور الوسطى وبخاصة المتأخرة منها ، وذهب الى أن هذه الظروف هي التي جعلت الناس في تلك العصور يتصرفون بطريقة بعيدة عن مألوف ما عهد منهم باعتبار أن تدهور الظروف حول الانسان يؤدي الى انحطاط في مستوى تفكيره وردود الفعل التي تصدر عنه . وأبرز في هذا الفصل ست عشرة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية لدى المسلمين في العصور الوسطى ، أهمها غلبة الروح الجماعية وعدم وجود طبقات متميزة في المجتمع وتأكد الانفصال بين الحكومات القائمة وجاهير الأمة ، وقلة حماس الناس للاشتراك في جيوش الدول ومبادرة المجاهدين الى التطوع من أنفسهم لحماية ديار الاسلام والذود عنها ، فقويت روح

الاعتماد على النفس عند الجماعات الاسلامية ، ووجدت الجاهيسر سبيلها الى النفوذ والاحترام عن طريق الدين والعلم الامر الذي جعل الفقهاء وأهل العلم يصلون الى مراكز القوة ويصبحون في نظر الجماهير رؤساء الناس وشيوخ المجتمع ، وتطرق المؤلف بعد ذلك الى قطاعي المدن والريف في المجتمع الاسلامي في العصور الوسطى ، وكيف استطاع الفلاحون القيام بمسؤولياتهم كاملة تجاه المجتمع باعتبارهم عماده الاقتصادي ، أما الاضمحلال الذي أصاب معظم المدن الاسلامية فمراه المؤلف الى غياب الهيئات البلدية المسؤولة عن المرافق والمنشآت العامة ومواجهة الاخطار التي تهددها وخالف بذلك رأى العلامة ابن خلدون في خراب الأمصار القائم على القانون الطبيعي لنمو الاشياء وهرمها وفنائها . ويرى المؤلف أن المجتمعات الاسلامية استطاعت النجاة بنفسها برغم كل الظروف والاطار بفضل نظام الأسرة الاسلامية المتناسك في الاسلام . وأفرد المؤلف فصلا مستقلا عن الاحوال الاقتصادية في بلاد المسلمين ، وتحدث عن النشاط البري والبحري للشعوب الاسلامية ولاحظ ارتفاع نسبة التجار من عرب الجنوب والخليج العربي وكيف كان هؤلاء يفضلون لدى هجرتهم من الجزيرة الموانئ والمراكز التجارية حيث نجحوا في تكوين الثروات والبيوت التجارية . وأشار الى مراكز التجارة وطرقها ومعاملاتها المالية والى الدور السدي لعبه اليهود والنصارى في هذا المجال بفضل روح التسامح التي سادت العالم الاسلامي الذي كان له الفضل في انقاذ اليهود من الفناء في العصور الوسطى ، وكيف تفكروا فيما بعد للمسلمين وفضلهم . وأكد على ارتباط الازدهار الاقتصادي بتوفر الأمن ومستوى

نظام الحكم ، وان هبوط هذا المستوى وطمح الحكام في ابتزاز ما في أيدي الناس من الاموال أدى الى انهيار الاقتصاد الاسلامي بكافة أشكاله . وخصي المؤلف فصلا آخر للفنون التي ابداع المسلمون فيها كالمعمارة والنحت والتصوير والموسيقى والقصص الشعبي وخيال الطفل ، واكد أن الفنون ظاهره انسانية عامة لا علاقة لها بالتurf كما ذهب ابن خلدون ووقف وقفة طويلة عند الموسيقى والفناء وموقف الفقهاء منها ، وراى أن السماع الذي كرهه أهل الفقه هو ما كان يجري في قصور المترفين وفي دور اللهو والحانات . واكد أن الموسيقى والفناء لم يستنكرا لذاتهما بل لما رافقهما وانه لا حرج في السماع للنغم الجميل النبيل الذي يعزف للسمو بالنفس الى المعاني العالية أو الفناء الذي يتضمن معاني العفة والكرامة والوطنية ، ويؤدي الى حشمة ووقار .

واختتم المؤلف كتابه بالحديث عن عصور الركود الاسلامية التي تغطي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر للميلاد . وأوضح أن الدول الاسلامية التي ظهرت خلال هذه الفترة برغم ما قايت به من جهود مشكورة في رد العدوان الأوروبي عن اجزاء واسعة من العالم الاسلامي ، الا أنها لم تترك آثارا باقية في اصلاح شعوبها أو النهوض بمستواها الفكري على غرار ما فعلت الدول الأوروبية المعاصرة لها ولاحظ أن الجماعات الاسلامية جميعا تدهورت حالها وسادها الفقر وأخلاقه المثلثة في سقوط الهمم وفساد الاخلاق وتفشى الجهل والمرض وضياع المستويات والمعايير وقد صور المؤلف الآثار المترتبة على أخلاق الفقر أصدق تصوير حين قال : « ان المجتمعات الى تسودها نفسية الفقر تجد الناس جميعا يتخلقون بأخلاق

الجبايع حتى الحاكم وصاحب الأمر تراه ينهب ويعتدي دون حياء لأنه وان لم يكن فقيرا الا أنه تسيطر عليه روح الفقر وأخلاقه كما لاحظ أن الحكومات التي عرفتها عصور الركود الاسلامية كانت طرازا واحدا سيئا من الاستبداد والظلم والافلاس المالي والعجز العسكري . وقرر أن السبب الرئيسي لقيام هذه الظاهرة يعود الى تبني نظام الحكم المطلق الذي أسقط الجاهير من حسابه ولم ينتفع بقاعدة الثوري الاسلامية في كل ما يتصل بمصالح الأمة ، في وقت كانت فيه الدول الأوروبية المعاصرة تزيد من اهتمامها واعتمادها على شعوبها . لكن المؤلف المنصف لاحظ أن الركود السياسي والاقتصادي والعسكري الذي ساد العالم الاسلامي لم يشمل الناحية الفكرية ، اذ شهدت تلك العصور نشاطا فكريا له ملامحه المميزة . وانجبت كبار الموسوعيين كالنويري وابن فضل الله العمري والقلقشندي وابن تيمية وابن خلدون والمقرئزي والعيني وابن تفرى بردي وابن حجر والسخاوي والزبيدي والجبرتي وغيرهم كثير . وعزا هذه الظاهرة الى حيوية الفكر العربي لارتباطه بالاسلام وقيمه الثقافية والاجتماعية الخالدة .

وكان المؤلف يود أن يختم كتابه عالم الاسلام بفصل ضاف عن النهضة الاسلامية الراهنة التي أعقبت عصور الركود ، ولكنه لم يفعل لأن الحديث عن عصر النهضة طويل ومتشعب يحتاج الى كتاب لا فصل ، وكان الأستاذ مؤنس قد تناول هذا الموضوع من قبل في كتابه « الشرق الاسلامي في العصر الحديث » الذي يعيد الآن النظر فيه ليعالج عصر النهضة بشكل أوفى واكمل .

أمد الله في عمره ونفعنا بالمزيد من أبحاثه وعلمه .

# مُحَمَّدٌ الطَّاهِرُ بَيْنَ عَيْنَيْكَ شيخ جَامِع الزَّيْتُونَةِ الأعظم في تونس

للأستاذ : نور الجندی

في خلال عام ١٣٩٣ الهجري ودع عالمنا امام جليل عرفته بوائر  
 الفكر الاسلامي منذ أكثر من سبعين عاما عاملا ناهضا محققا كان في بدء  
 حياته الفكرية على موعد مع لقاء الامام محمد عنده في تونس عندما  
 زارها في رجب ١٣٢١ ( الموافق ١٩٠٣ ) ومنذ ذلك الوقت الى أن ووري  
 القراب وهو عامل على النهج ، سائر على الطريق ، كفائد من قادة حركة  
 البقطة الاسلامية لم يتخلف ولم يتوقف بالرغم من طول الطريق وارتفاع  
 السن وتعدد المشاكل وتعدد القضايا .

يقول نجله العلامة ( محمد الفاضل ابن عاشور ) فى تأريخه للحركة الفكرية الإسلامية فى تونس : « انه كان أكثر الناس ثقافا حول الامام محمد عبده والتحاها به مدة أقامته بتونس وكان رفيقاه من رجال الخلدونية الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلى وكان ثلاثتهم من العاملين فى تأييد الفكرة الإصلاحية ويقول الفاضل فى تصوير دور والده ( الطاهر ) رحمة الله عليهما : « والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يومئذ شاب فى الرابعة والعشرين بعد أبرز مدرسى الجامع شبابا وذكاء وعلمًا وأدبا وأسبقهم الى اتباع استاذيه الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلى فى تأييد الفكرة الإصلاحية فكان من أنصار الجمعية الخلدونية ومن أعضاء مجلس إدارتها وكانت محبة الطلبة الزيتونيين فيه بالغة مبلغا عظيما » .

« وأقامت الخلدونية مجمعا عامالقى فيه الاستاذ الامام محاضراته القيمة عن ( العلم وطرق التعليم ) فكانت تأكيدا وتقوية للحركة الإصلاحية وأصبحت أساس العمل لحركة الإصلاح الزيتونى وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونقلت عنها المؤيد والنار وثمرات الفنون » . تلك هى صورة هذا العلامة منذ ذلك الوقت البعيد قبل سبعين عاما على وجه التقريب وقد قص طرفنا من حياته وجهاده فى كتابه ( ليس الصبح بقریب ) الذى صدر عام ١٩٦٠ فأشار الى أنه حصل على شهادة التطويع عام ١٣١٧ هـ وأنه شارك فى تأسيس الجمعية الخلدونية ١٣١٤ وكان الشيخ محمد بن الخوجة هو

شيخ الاسلام فى عهد تلمذته . كما أشار الى أن جمعية قدماء المدرسة الصادقية تأسست عام ١٣٢٤ برئاسة ( خير الدين بن مصطفى ) وأنه شارك فيها مع عبد الرحمن الكماك والطبيب ابن عيسى والصادق النيفر وبلحسن النجار ومحمد بن الصادق بن القاضى ومحمد الخضر بن الحسين ثم رأس هذه الجمعية بعد ذلك بقليل .

وقد جاء هذا العمل كله فى دائرة اللقاء بالشيخ محمد عبده سابقا له وتابعا بعد سفره وقد أكد هو هذا الاتصال فى كتابه ( ليس الصبح بقریب ) حين قال : ( فى عام ١٣٢٠ ) هـ صادف ورود الأستاذ الشيخ محمد عبده الى تونس والافكار قد نضجت من الخوض فى هاته المسائل ومطالعتها ( يقصد دراسة العلوم الاسلامية ) فاشترأت الاعناق الى سماع رأى زعيم النهضة المصرية وما كان الا أن سمعوا عنه خطابه الذى القاه فى قاعة الخلدونية وحضره مئات من أهل العلم فأنحى فيه على الحالة المتبعة عندنا وعندهم بما كان سببا لفتح ما بقى مغمضا من عيون القافلين ولذلك أغضب عليه كافة الجامدين من أهل العلم الا أنهم اعترفوا بوجود خلل فى التعليم بالسنتهم وبما كتبوه ومن أهم ذلك وأصرحه ما كتبه محمد النجار المفتى المالكى فى رمضان ١٣٢١ هـ ) .

وقد تضمن خطاب الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده توجيهها صالحا للمسلمين فى البلاد المحتلة والمستعمرة وهو الاتجاه الى العلم وترك السياسة حتى ينفصح السبيل أمام المسلمين إلى التماس النهضة الحقيقية .

وقال الاستاذ محمد عبده في خطابه : ان معنى العلم الحقيقي الذي اثنى الله عليه ويميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الامر الحقيقي بمعنى اذا اراد أن يملك عنه مهمل لا يقدر على ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة الى غابة فلا يعدل عنها مهما حاول مضله فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه » .

وقد دعا الشيخ محمد عبده علماء تونس الى الأخذ بأشياء ثلاثة :  
أولا : الجد في تحصيل العلوم الدينية والدينية من طريقها القريبة .  
ثانيا : الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة .

ثالثا : مسالة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الامر يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة لهم » .

وقد أشارت جريدة الطان الفرنسية بعد ذلك الى أن في تونس طائفة معتدلة تميل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وأهلها يتبعون التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشر في مجلة المنار .

## ٢

أما علامتنا المرحوم ( محمد الطاهر ابن عاشور ) فقد تابع طريق ( مدرسة المنار ) في العلم من ناحية وظاهر الاستاذ الشيخ محمد عبده في كل مماركه بعد ذلك وفي مقدمتها ما أثير حول ( مسألة الفتوى الترنسالية ) في أواخر عام ١٣٢١ هـ وهي التي تتعلق باباحة لبس القبعة وأكل ذبائح أهل الكتاب .

وكانت القضية قد أثيرت في مصر غير أن الشيخ الطاهر في تونس لم يلبث أن أعد رسالة فقهية مدعمة بالأدلة على المذهب المالكي لتأييد مفتي الديار المصرية في هذا الامر نشرت يومئذ منسوبة الى عسالم تونس ثم أشار صاحب المنار من بعد أنها للشيخ ابن عاشور .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد نى الشيخ الطاهر مفاهيم العلم ومناهجه وشرع يكتب في المجلات الاسلامية حول تجديد الدراسات الاسلامية واصلاح التعليم الاسلامي وفي إحدى دراساته التي نشرتها مجلة السعادة العظمى يدعو الى ( إقامة نبراس مبين بين يدي الباحثين يكون متحفظا فيه من عواطف الأهواء والشبهات ) فهو يرى ضرورة قيام التناظر والبحث دون أن يكون ذلك محفوا بتعصب أو اضطهاد . كذلك فهو يدعو الى شجب الحجب على الراي لأن ذلك ( يكون منذرا بسوء مصير الأمة ودليلا على أنها قد أوجست في نفسها خيفة من خلاف المخالفين وجدل المجادلين ) .

فهو ينهى عن أمرين : ضيق نفس الأفكار وقصور عن إقامة الحق . ويرى أن قيد الاستعباد اذا خالط نفوس أمة كان سقوطها أسرع من هوى الحجر الصلد » . ولقد امتد هذا الفهم وهذا النضال من أجل تحرير مناهج الدراسات الاسلامية والتعليم طوال حياة مترجمنا الذي مد الله له في العمر فتوفى في الثالثة والتسعين بعد حياة حافلة تقلد فيها مختلف المناصب الاسلامية الكبرى وكان آخرها شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس . وقد شارك خلال حياته الفكرية



الطويلة في مختلف المسائل والقضايا التي تناثرت في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ولكنه كان حريصا على امرين كبيرين .

( الاول ) : اصلاح التعليم الاسلامي وقد اورد في كتابه ( الياسي الصبح بقریب ) دراسة تاريخية مطولة لما قام به في ذلك ولما شارك به من جهاد ونضال ومشارك في سبيل اصلاح التعليم الاسلامي منذ عام ١٣٢١ هجرية حتى السنوات القريبة قبل وفاته بقليل . يقول :

( قد كان حدا بي حادي الامال واملى على ضميري منذ عام ( واحد وعشرين وثلاثمائة والف ) للتفكير في طريق اصلاح تعليمنا العربي الاسلامي الذي اشعرتنى مدة مزاولته متملما ومعلما بوانر حاجته الى الاصلاح الواسع النطاق فمقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة الى ذلك وبيان اسبابه ) ثم اثار الى انه لم يدع فرصة خلال هذه السنوات السبعين الى اصلاح التعليم الا انتهزها وقدم فيها مقترحاته الضافية وقد اتخذ من نفسه مثالا لمناهج التعليم التقليدية التي لو ازيحت لحققت الكثير له يقول : « انى على يقين اننى لو اتيج لى فى فجر الشباب التثبّع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيرا من مواهبى ولاكتسبت جما من المعرفة ولسلبت من التطوح فى طرائق تبين لى بمصد حين الارتداد عنها مع انى اشكر ما منحت به من ارشاد قيم من الوالد والجد من نصحاء الاساتذة » .

وفى جولة واسعة وعميقة وثرية بالتجربة والخبرة يكشف عن اسباب تاخر العلوم الاسلامية ويلخصها فى عبارة مضيئة هي :

« وجود مسائل لا حاجة اليها وإهمال مسائل وعلوم مهمة أو أن شئت فقل « الزيادة والنقصان » . ويفسر ذلك فى قوله :

خطأ تعليم ما يفشل عزائم النفوس مثل تعاليم الزهد الخالي وتعليم الحيل والمغالطات ومساوىء الأخلاق .

كذلك يشير الى خطأ الاعجاب الى درجة التعصب بأراء المتقدمين كيف كانت وتزييها عن الخطأ « فانحصر العلم فى نقل واحد عن آخر وربما وجدت فى التأليف نقل قولين متجانبين وهما متضادان من غير أن يبحث المؤلف فى صحة أحدهما » .

( الثانى ) تأكيد عظمة الشريعة الاسلامية والكشف عن ميزات النظام الاجتماعى فى الاسلام : وذلك فى كتابه الذى صدر فى السنوات الأخيرة من حياته تحت عنوان ( اصول النظام الاجتماعى فى الاسلام ) وقد تحدث فيه عن علاقة دين الاسلام بالمدنية وتأثيره فى ارتقاء الأمة وذلك بالكشف عن تاريخ الأمة كما كانت زمن ظهوره .

ويرى أن اصول النظام الاجتماعى فى الاسلام تقوم على ( ضبط ) حالة المسلمين فى مجتمعهم عن طريق اصلاح الأفراد والاصلاح الاجتماعى . فهو يرى أن الاسلام دين الفطرة ودين الاعتدال والتوسط ودين السماحة وان ( كل هذه الخاصيات نابعة من ميزة الاسلام الكبرى وهى أن هذا الدين دولة لأن دعوة الاسلام تخالف ما سبقها مخالفة بينة من جهة كونه ديناً عاماً حيث استعد البشر الى قبول دين عام ومن جهة امتزاج الدين مع الشريعة بما يضبط للأمة أحوال نظامها الاجتماعى فى تصارييف الحياة كلها مكملة للنظام الدينى الذى هيا

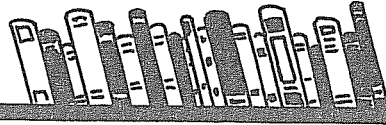
أفراد الحياة للاتحاد والمعاصرة .  
كما يشير الى أن هناك خصلتين  
أساء الجمهور فهمهما : هما التوكل  
والرضى بالقضاء والقدر وقد كشف  
عن عظمة مفهوم الاسلام فيهما . ثم  
خلص الى ضرورة قيام ( الجامعة  
الاسلامية ) مبينا طرأة الاسلام  
الذي جعل جامعة الدين هي الجامعة  
الحقة للمسلمين والفي ما عداها من  
الجوامع فاعتبرها جوامع فرعية ما لم  
تعتمد على الجامعة الكبرى وقال ( ان  
هذه الجامعة الاسلامية لا تعادلها  
جامعة أخرى لان جوامع الانساب  
والمواطن جوامع اصطلاحية قاصرة » .

### — ٣ —

من خلال دراسة نتاج العلامة  
محمد الطاهر بن عاشور وآثاره في  
الحركة الفكرية الاسلامية عامّة  
والتونسية خاصة واثره في الجامعة  
الزيتونية والتعليم الاسلامي ودراسته  
للنظام الاجتماعي الاسلامي ودفاعه  
عن مفهوم الاسلام الكامل الجامع دينا  
ونظام مجتمع على النحو الذي تتسم  
به كل آثاره وخاصة كتابه الذي رد  
فيه على ما كتبه ( على عبد الرازق )  
عن الخلافة وأصول الحكم وهو من  
خير الدراسات التي واجهت أهداف  
هذا الكاتب ومن تابعه في محاولة  
انتقاص مفهوم الاسلام ومنهجيه  
الجامع للاسلام دينا ودولة . أقول  
من خلال هذه الآثار كلها ومن خلال  
ذلك العمر المديد العريض الذي لم  
يتوقف فيه هذا العلامة عن العمل  
وارتباطه الواضح بحركة اليقظة  
الاسلامية من مصادرها الأولى  
ومنابعها منذ دعا بها الامام محمد بن  
عبد الوهاب وتابعه عليها المصلحون

المسلمون نجدنا قادرين على إبراز  
مكانة هذا العلامة بين أهل جيله  
وقومه من ناحية وبين دعاة الاسلام  
البارزين من ناحية أخرى .  
أما في تونس فهو من أبرز ذلك  
الرعل الذي عرف فيه عبد العزيز  
الثعالبي ومحمد الخضر حسين  
والصادق النيفر وهم صفوة المجاهدين  
في الحقل الاسلامي والذين تابموا  
مدرسة المنار حين اتجهت غربا  
واتصلت بقيادة النهضة في الجزائر  
من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد  
البشير الابراهيمي وأحمد توفيق  
المدني ومبارك الميلي وغيرهم وكذلك  
اتصالها بنهضة الاسلام في المغرب  
ومن العاملين لها محمد العربي الملوحي  
ومحمد بن كنون وشعيب الدكالي  
وتابعهم على الطريق العلامة علال  
الفاسي وصفوة من العاملين .  
هذا في الجناح المغربي أما في  
المشرق فقد كان على طريقهم عبد  
الرازق البيطار وجمال الدين  
القاسمي في دمشق ومحمد رشيد  
رضا في مصر ونعمان أبو الفداء  
الالوسي في العراق فهي مدرسة  
ممدودة متصلة مترابطة تسير في  
طريق واضح هو نفس الطريق الذي  
سار فيه الامامان الجليلان : أحمد بن  
حنبل وابن تيمية .  
واذا كان لم يتح لنا أن نلتقي بهذا  
العلامة الكبير فقد رأينا ثمرة غرسه  
في ابنه النابغ الذي قضى مسرعا  
محمد الفاضل بن عاشور ، ذلك  
النموذج الطيب الكريم الجامع بين علم  
الاسلام وعلم الغرب ولفته من حيث  
هذا كله في خدمة الاسلام رحم الله  
العلمين الجليلين وكتب لهما منازل  
الصادقين .

(١) اشار الشيخ رشيد رضا في المنار وفي كتابه عن الاسناد الإمام أن ذلك كان صيف



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

# مكتبة المجلة

## الحرية السياسية... أولاً

نشر  
مركز  
الدراسات والبحوث



### الحرية السياسية .. أولاً للدكتور أحمد شوقي الفنجري

كتاب يقارب التسعين صفحة ، يبحث بايجاز دقيق مفهوم الحرية السياسية ، ويتناول بأسلوب شيق سلس العلاقة بين الحاكم المحكوم ، وحق الرعية في حكم نفسها بنفسها ، والمبادئ والقواعد التي نادى بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير الحديثة ، كما أنه يتعرض الى الاسباب التي أدت الى تخلف أمتنا عن ركب الحضارة ، وكذلك أسباب فشل الديمقراطية في عالمنا العربي ، ثم أخيراً يرسم لنا المؤلف الطريق السليم الى الحرية

السليمة وذلك بالعودة الى روح الاسلام وتعاليمه النبيلة التي تنادى بالتراحم والتعاون والمعدل والمساواة .  
والكتاب من نشر دار القلم ص.ب ( ٢٠١٤٦ ) الكويت .

### لمحات في الثقافة الاسلامية للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدي الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التي تحاك ضده من أعدائه وبخاصة في المضمار الفكري والثقافي — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربي فيه ملكة النقد الصحيح التي تقوم المبادئ والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوي على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذي يقع في ( ٣٨٠ ) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص ب ( ٧٤٦٠ ) بيروت — لبنان .

# الفتاوى

وجهت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل  
فاجاب عليها بما يلي :

## هجر القرآن

### السؤال :

ما تقولون فيمن يهجر القرآن العظيم وهو ممن يحسن القراءة ويمد نفسه  
من الكتاب هل عليه اثم بذلك .. ؟

### الاجابة :

أولا ينبغى ان نعرف معنى الهجر ، فهجر القرآن ذكره الله تعالى فى كتابه  
بقوله : « وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » .. قال  
ابن كثير : وذلك ان المشركين كانوا لا يصفون الى القرآن ولا يستمعون اليه  
كما قال تعالى عنهم : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه »  
فكانوا اذا تلى عليهم القرآن اكثروا اللفظ والكلام بغيره فهذا من هجرانه ، وترك  
الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك  
العمل به وامثال اوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والمدول عنه الى غيره

من شعر أو قول أو غناء أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، وقال ابن القيم رحمه الله في الفوائد : هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والإيمان به والاصفاء اليه .

الثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به .

الثالث : هجر حكمه والتحاكم اليه في أصول الدين وفروعه .

الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه وتعالى .

الخامس : هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب وأدوائها ، وكل هذا داخل في قوله تعالى : « وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وإن كان بعض الهجر أهون من بعض . انتهى .

فهذا كلام أهل المسلم في معنى هجر القرآن ، وأما ما ذكره في آداب قراءة القرآن فقالوا : يسن ختمه في كل أسبوع . يعني في سائر السنة قال عبد الله بن الإمام أحمد كان أبي يختم القرآن في كل أسبوع وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن في كل أسبوع » رواه أبو داود .

ويكره تأخير ختم القرآن فوق أربعين يوما بلا عذر ، قال الإمام أحمد أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين يوما ، ولأنه يفضي إلى نسيانه والتهاون به ويحرم تأخيرها فوق الأربعين أن خشي نسيانه قال الإمام أحمد ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فأن عقلها حفظها ، وإن أطلق عقلها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن » .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها » التفصى التخلص ، يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها .

وقال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتماهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فإن ذلك خطأ كبير ، نسأل الله العافية منه .

ومى حديث عبادة بن الصامت « ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا لقي الله أجذم » رواه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور أمتي حتى القذاة والبصرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً اكبر من آية أو سورة أوتيها رجل فنسبها » . رواه أبو داود والترمذى وغيرهم .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » وهذا الذى قاله وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه فإن الاعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير ، وتقريط شديد ، نعوذ بالله منه . الى آخر ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

### مد الانسان رجليه الى القبلة

#### السؤال :

ما حكم مد الانسان رجليه الى القبلة سواء حال النوم أو اليقظة وعن اسناده ظهره اليها فى المسجد وغيره .. ؟

#### الإجابة :

قال ابن مفلح فى كتاب الآداب الشرعية ( فصل ) فى كراهية اسناد الظهر الى القبلة فى المسجد : ويكره أن يسند ظهره الى القبلة ، وقال أحمد يعنى الامام أحمد بن حنبل : هذا مكروه ، وصرح القاضى بالكراهية قال ابراهيم : كانوا يكرهون أن يتساندوا الى القبلة قبل صلاة الفجر ، رواه أبو بكر النجاد الى أن قال ( فصل ) فى كراهية مد الرجلين الى القبلة : ذكر غير واحد من الحنفية رحمهم الله أنه يكره مد الرجلين الى القبلة فى النوم وغيره . وهذا إن ارادوا به عند الكمية زادها الله شرفاً فمسلم ، وإن ارادوا مطلقاً كما هو ظاهر العبارة فالكراهية تستدعى دليلاً شرعياً ، وقد ثبت فى الجملة استحبابه أو جوازه كما فى حق الميت ، قال فى المقصد فى كتبهم : ولا يمد رجليه يعنى فى المسجد لأن فى ذلك اهانة له ، ولم أجد أصحابنا ذكروا هذا ولعل تركه أولى ، ولعل ما ذكره الحنفية رحمهم الله من حكم هاتين المسألتين قياس كراهية الامام أحمد الاستناد الى القبلة كما سبق ، فإن هاتين المسألتين فى معنى ذلك ، والله أعلم .

# بربر الوحي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

## طاعة أولى الامر

ما معنى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا » .  
واذا كانت طاعة أولى الامر من الحكام واجبة فما حدود هذه الطاعة الواجبة ؟

صالح قايد — عدن

لا شك ان الاسلام يوجب على المسلم الطاعة لله فى كل امر ، فان مقتضى الايمان بالله ان يتلقى المؤمن من الله ما سنه من شريعة اودعها كتابه الكريم بقبول ورضى وتطبيق ، لان شأن المؤمن بالله المقر بالوحيته العلم بأن طاعة الله واجبة . ويجب كذلك على المؤمن طاعة رسول الله فيما بلغ عن الله من شريعة ، وسن من قواعد ، لانه لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى اليه ، وطاعة الرسول فى واقع الامر طاعة لله عز وجل « من يطع الرسول فقد اطاع الله » . وانه لمن النفاق ان يدعى المرء انه يؤمن بالله ، لكنه يتحفظ فى الايمان برسوله ، لانه لا حاجة له بذلك ، مع العلم ان الذى يؤمن بالله حقاً لا بد ان يتلقى بالتسليم والرضا ما شرعه على لسان رسوله ، ومن هنا كانت السنة النبوية الصحيحة مصدراً من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل .  
بقى ان تعلم ان طاعة أولى الامر من الحكام المؤمنين واجبة بنص هذه الآية « واولى الامر منكم » ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وقوله صلى الله عليه وسلم « لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا واطيعوا » فاذا امر بمعصية او احل حراماً او حرم حلالاً لم يكن اميناً على شريعة الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا طاعة له ، وليس له فى رقاب المؤمنين طاعة واجبة ، وما اروع ما قاله الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته المشهورة « اطيعونى ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وليكن الحكم دائماً فيما يعرض من المشكلات ، والفصل فى كل ما يجد من  
أقضية ، هو كتاب الله وسنة رسوله ، تمثيلاً مع المنهج النبوى المأخوذ من الحديث  
الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا  
بعدي كتاب الله وسنتي » .

### الدين والدولة

هل هناك فصل بين الدين والدولة ، وهل يمكن أن يستقيم شأن الناس فى  
دولة دون أن يكون لها دين تحتكم إليه . . ؟

عبد الله سيف زايد — البحرين



ليس هناك أصلاً فصل بين الدين والدولة ، لأن الإسلام يوجب أن تقوم  
الدولة فى عقيدتها ، وتشريعها ، ومنهجها فى الحياة على أساس من الدين ،  
فالإدارة والقوانين ، وكل ما له أثر فى حياة الأمة ، لا بد أن يستند صلاحية نفعه  
من الدين ، والذين يدعون أن التمسك بالدين رجعية ، ودعوة إلى التأخر ، وتنكب  
للجادة ، جانبهم الصواب كثيراً ، بل إنهم يحاولون بذلك أن يحطموا فى الأمة  
نهضتها ، وأن يصموها بالجهل ، وأن يبعدها عن ما يصلحها ، ويقوم معوجها ،  
وأمامهم الدليل واضح ، فقد حكم الإسلام قروناً طويلة بلاد الإسلام بشريعته  
السليمة ، على خير وجه ، وقد لوحظ أن فصل الدين عن الدولة فى بلاد المسلمين ،  
قد أدى إلى أن يأخذ المسلمون بقوانين لا تمت إلى دينهم ، وطبيعة تكوينهم بصلة ،  
ولماذا نترك الدين ، ونفصله عن الدولة وهو الذى يدعو إلى إقامة المجتمعات  
القوية على أساس من العدالة الاجتماعية ، دون مظالم ، والمساواة الحققة دون  
أثرة ، والفرص المتكافئة دون احتكار واستغلال ، والحياة الكريمة دون بطالة  
وكسل .

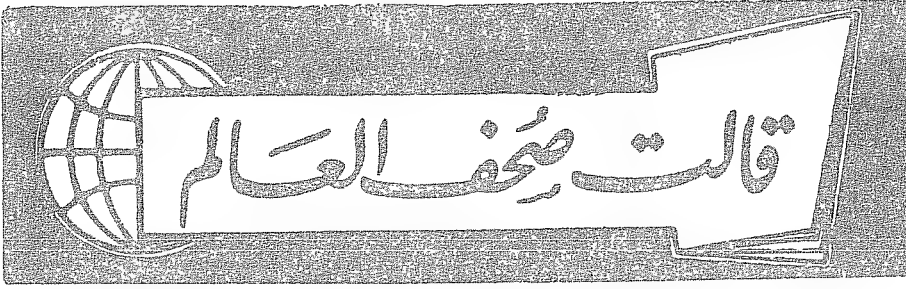
وهذه هى الدولة فى ظل الإسلام ، كل متباسك كالجسد الواحد إذا اشتكى  
منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

فلا دولة مدعمة القوائم بلا دين يشد من أزرها ، ويكون صخرة تتحطم  
عليها معاول الهادمين الداعين إلى فصل الدين عن الدولة ، وأما قول الله  
تعالى « وان احكم بينهم بما أنزل الله » وقوله سبحانه « اتبعوا ما أنزل اليكم  
من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » وقوله سبحانه « والذين إن مكناهم فى الأرض  
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

وخلاصة القول أن الدولة بلا دين جسد بلا روح ، مقوام الدولة المسلمة  
دينها ، وفصلها عن دينها حكم عليها بالفناء ، وهواية تتردى فيها بلا روية .

وان كان هناك دول أقامت صرحها على أساس من الإلحاد واللا دينية ،  
فانها لا شك منهارة من داخلها يتحكم فيها شرذمة من الأراذل لا ترفعى فى الناس  
إلا ولا ذمة ، لأن أساس العدل فيها متداع ، ورياط المجتمع فيها مفكك العرى ،  
ولا تلبث أن يزول سلطانها من النفوس فيعيش أبناؤها نهياً للرزيلة ، وهذفاً للانحلال  
البقيض المقيض للدعائم ، فيبدون وقد مزق اللهو كيانهن ، وهذه الحقيقة المائلة  
أمامنا فى المجتمعات اللادينية فى الأمم التى اتخذت لنفسها خطأ غير متلائم مع  
الدين ، بل ومناف لكل دين تؤكد بلا خفاء أنه لا يمكن أن يستقيم شأن الناس بلا  
دين تحتكم إليه والإسلام هو غاية ما تصبو إليه الإنسانية .





### رسالة الأزهر

تحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن رسالة الأزهر وذلك في مقابلة أجراها معه مندوب صحيفة ( أخبار العالم الاسلامى ) بمكة ، فقال فضيلته :

نشر العلم الاسلامى هو رسالة الأزهر الخالدة . وهذه الرسالة تتحقق بطرق شتى منها :

١ - استقبال الوافدين من مختلف الاقطار الاسلامية لتعليمهم فى رحاب الأزهر ، وقد بنى الأزهر من أجلهم مدينة سكنية تتسع لخمسة آلاف ، يأكلون فيها ، ويبيتون ويتعلمون ، على نفقة الأزهر ، يأخذون بعض المال كمصاريف شخصية . وقد رصد الأزهر الآلاف المؤلفة من أجل ذلك .

٢ - وإذا كان الأزهر يستقبل الوافدين فإنه فى الوقت نفسه يرسل المبعوثين الى مختلف البلاد فى العالم يدرسون ويعطون وينشرون العلم الاسلامى فى بقاعه فى حاجة الى ذلك . وقد رصدت الدولة لذلك نصف مليون من الجنيهات المصرية .

٣ - والدعوة الى الله عن طريق الكتب والرسائل تطبع وتباع بثمن رمزى .  
٤ - والدعوة الى الله عن طريق رد الشبهات والرد على الانحرافات التى تفد من الغرب فى صور مختلفة .

٥ - ومن المشاريع التى يزمع الأزهر القيام بها ، مشروع دائرة المعارف الاسلامية ، وهو مشروع جليل يخطط الأزهر له .

٦ - ويقوم الأزهر الآن بعمل تفسير وسيط للقرآن وهو يصدر تباعا ، وقد صدر منه بالفعل بعض الأجزاء . . وهكذا يتابع الأزهر الدعوة الى الله بشتى الوسائل وفى حدود إمكاناته المادية . .

ولا يمكن أن ننهى الحديث عن نشاط الأزهر دون أن نشير الى مشروعاته جليلين :

أحدهما : مشروع تقنين الشريعة الاسلامية ، وقد انتهى الأزهر من تقنين الجانب المدنى من الشريعة بحسب كل مذهب ، وأصدر فى ذلك كتباً عن كل مذهب مستقلاً ، ثم بدأ بتقنين الشريعة على وضع موحد ، أى أنه يختار من المذاهب الأقوى حجة والأثبت دليلاً والانسب للعصر الحاضر . .

أما المشروع الثانى : فهو موسوعة السنة ، وذلك بتحقيق أمور ثلاثة :

أولها : جمع الأحاديث .

ثانيها : التعريف بالمصطلحات .

ثالثها : التعريف برجال الحديث .

وهو مشروع طويل المدى ، ولكن العمل بدأ فيه ، ونرجو من الله التيسير .  
وان المشاريع التى ذكرنا تنال من عناية الأزهر الكثير . . وإذا كان الحديث يقتضى التنويه بميدان بالذات ، فإنه من غير شك ميدان التعليم : وذلك أن الأزهر

تتبعه معاهد لتعليم القرآن ، ومعاهد أخرى للتعليم الابتدائي ، ومعاهد للتعليم الثانوي وجامعة الأزهر وحدها أى التعليم العالى فى الأزهر يبلغ طلبتها حوالى الأربعين ألفا ، يدرسون مختلف العلوم ، وقد استكمل الأزهر الآن فى جامعته مختلف العلوم ..

وإذا كانت جامعة الأزهر وحدها تضم ما يقرب من الأربعين ألفا فان معاهد الأزهر على مختلف مراحلها تضم آلافا من الطلبة ، نرجو الله سبحانه وتعالى ان يهيىء لهم مستقبلا كريما ..

### المؤسسة الإسلامية المالية

اتفق وزراء مالية الدول الإسلامية على اقامة بنك اسلامى عالمى يكون سندا للدول الإسلامية تجابه به مطالب العصر وحاجاته ، والأمة الإسلامية وهى تملك الطاقة الضخمة من مصادر الثروة كما تملك فى نفس الوقت الطاقة الضخمة من القوة البشرية ، هذه الأمة أولى بها ثم أولى أن تدرك أهمية وحدتها الاقتصادية فى عصر قامت فيه التكتلات الاقتصادية العالمية بهدف نهب خيرات المسلمين والسيطرة عليهم اقتصاديا واستغلال ثرواتهم لخدمة أغراضهم الاستعمارية ولتدعيم الكيان اليهودى المعادى للإسلام والمسلمين .

اليوم قد آن لأمتنا الإسلامية ذات التشريع الإنسانى والحضارة التالدة التى أضاعت للعالم طريقه نحو من عشرة قرون من الزمان ، أن تتأهب لاستئناف القيام بدورها الحضارى من جديد ، فقد كان العالم الإسلامى ، وما يزال ، مصدرا للأشباع الفكرى والحضارى ، تهتدى به البشرية فى مختلف عصور تقدمها . وهو أقدر اليوم على أن يبدد أسباب القلق وأن يكون مصدر خير وبركة على العالم كله .

ومن أجل ذلك يجب انشاء ( المؤسسة الإسلامية المالية للتنمية الاقتصادية ) برأسمال يوزع على أسهم اسمية ولا يجوز لغير المسلمين الاكتتاب فيها أو تلقيها بالتنازل وانما تكتتب فيها الحكومات الإسلامية والجمعيات والمنظمات والمؤسسات والأفراد والشخصيات الإسلامية حتى تقوم على أغراض مشروعات التنمية الاقتصادية فى مختلف مظاهرها من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات لحسابها أو لحساب الغير أو بالاشتراك معه .

كما يجب أن تحتوى فى مجالها أوجه الاستثمار فى مشروعات التنمية وقبول الودائع وفتح الحسابات الجارية وتنظيم الاكتتابات العامة وسندات الشركات أو غيرها وانشاء صناديق مشتركة لاستثمارات الأوراق المالية وإدارتها لحساب المشتركين وجميع الأعمال المتعلقة بالأوراق المالية وتحصيل ودفع الاوامر وأذن الصرف وغيرها من الأوراق ذات القيمة .

ومؤسسة كهذه تهدف الى توحيد الكيان الاقتصادى للأمة الإسلامية ودعم وإبراز أسسه ومقوماته علميا وعمليا فكريا وتطبيقا ، لا بد لها من أن تنشئ صندوقا للزكاة يقتطع له ٢.٥ ٪ من صافى الأرباح يضاف اليه ما يقدمه لها المسلمون من مال الزكاة لتنفق خصيلته على مصارف الزكاة الشرعية فى الاسلام بالنسبة للمسلمين فى جميع انحاء العالم وعلى خدمة نشر الدعوة الإسلامية واقامة المساجد والمدارس والمستشفيات .

وفقنا الله للخير والحق ، وهدانا لهديه الكريم ، وأناقل قلوبنا بنور الاخلاص واليقين .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

# بأقلام القراء

## واجب علماء المسلمين

فى خضم هذا الصراع الداوى بين الاسلام وخصومه ، بين الحضارة الحديثة بكل ما تملك من قوى مادية وفكرية ، وبين الاسلام وما يحوى من مثل عليا ومنهاج سوى يبنى الحياة ويسعد الانسانية المعذبة من شقوتها المادية ، وعدالة تصبو إليها النفوس ولن تجدها الا فى هذا الدين .

فى هذا الصراع يقوم واجب علماء المسلمين لانقاذ شباب المسلمين من وهدة المادية ، وفلسفات الإلحاد ، وفساد القيم ، وضلال المناهج ، والتحلل فى الأخلاق والسلوك .

ويتساءل نفر كيف يؤدى علماء المسلمين واجبه المقدس ؟ أيعت الفكر من شتى العصور وطبعه على ورق صقيل بدلا من الأصفر ؟ أو التبويب والتنظيم لكل ما جاء فى التراث الاسلامى ، ليقف هذا التراث أمام الفكر المعاصر ؟ وهل يفى هذا التراث بكل حاجات العصر . ؟

ومع تقديرنا لهذا التراث المجيد ، وقد قام بالحفاظ على الاسلام وعقائده ، وكان مصدر قوة للاسلام وفخر واعتزاز . فإذا كان الاسلام قد انتصر عسكريا لك صروح البغى والظلم فى امبراطوريتى فارس والروم ، فإنه قد انتصر فكريا وعقائديا وتمكنت جذوره فى نفوس البلاد المفتوحة حتى نسوا ماضيهم نهائيا ، وأصبحوا هم هو ، وهو هم . يدافعون عنه كما يدافعون عن أنفسهم أو أشد .

وهذا كل ما نطلبه اليوم من علماء المسلمين . أن يبرزوا الاسلام كقوة محطمة للفكر المنحل فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . ولن يكون هذا ببعث الفكر الاسلامى عبر العصور . بل بدراسة لغة الحاضر ومناهج فكره ، دراسة التخصص فى شتى الدراسات الحديثة فى علم النفس ، والاجتماع ، والنظم السياسية والاقتصادية ، ثم نقدها بالاسلام نقدا ينفى تعلق الشباب بها . نقدا منهجيا موضوعيا تحنى له الجباه ويبهت الذى كفر . وأى تخلف عن هذه الدراسة الجادة فلن يجد الشباب الحائر بين زخرف المدنية الحديثة وبين دينه ودين آبائه وأجداده إلا مزيدا من الحيرة والضياغ ، والفناء فى الفكر الوافد .

والشباب اليوم يجد القصة العاطفية والتمثيل المسرحي ، وفنون الشعر من السهل الممتنع . تقوده الى ما يريد ، وتقنعه بكل ما يملئ عليه ، حتى يظن القارئ أنه بلغ غاية الثقافة من كل ما يقرأ .

فأين القصة الإسلامية التي توحى بفكرة الاسلام عن الحياة ونظامه في المجتمع ، وسمو فكرته في بناء النفس الانسانية ؟ ! ولا أريد قطعاً القصص البائدة التي لا تمس المشاعر ولا تحرك الأحاسيس .

والشباب اليوم يتخرج من الجامعة ، وكل ما عنده حضارة الغير وأفكار الغير . فهو يتقمص شخصية غير شخصيته ويقلد غيره ليبدو مفكراً متطوراً ، ويلحق بأساتذته الغربيين . فأين الفكر الإسلامي الحديث الذي ينقد الفكر المعاصر وينهي قدسية العلم الحديث في النفوس المصبوغة به ، وتقوم الجامعات الإسلامية بدراسته ؟ !

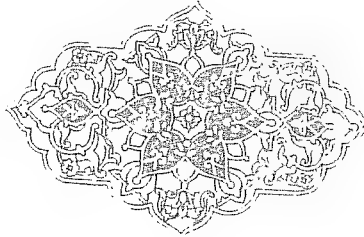
وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات في هذا ، فإنه غير كاف . ولا هو بهمق الموضوعية الموسعة ، لنرى الفكر الاقتصادي الإسلامي منهاجاً كاملاً يحظم كل النظم الأخرى . ونرى الفكر السياسي الإسلامي يدك غرور النظم المعاصرة .

لقد نجحت النظم المصرية في إقناع الفتاة . أن الاسلام قيد لا بد من التحرر والانطلاق من عقاله . رغم أن القيود الحديدية على حرية الإنسان المعاصر لا تفكها الا الثورات الحمراء لكي تجدد قيوداً أخرى لم تذق مرارتها بعد . كل هذه القيود السوداء على أعناق البشرية لا تظهر للعيان .

فهل أبان علماء المسلمين هذه القيود . لتحرر الإنسان بالاسلام والى الاسلام ويقبل على الدفاع عنه كأشد ما يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه ؟ ؟ !

أقدم هذه الصرخة المخلصة الى علماء المسلمين وأنا أقل منهم باعاً في هذا . إنما حالة الاسلام تدفعني الى هذا النداء الحار إليهم .

الشيخ محمد عبد الفنى أبو شرفى



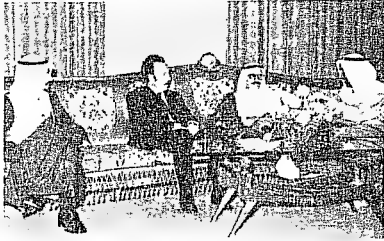
# الأمير المسلم الإسلامي

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

## الكويت :



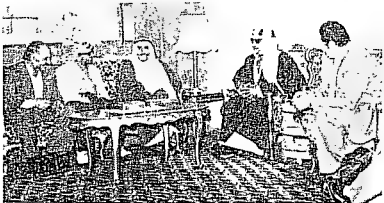
صاحب السمو الامير مع جلالة الملك فيصل



سمو أمير البلاد والرئيس الجزائري هواري بومدين .



سمو أمير البلاد مع أمير دولة قطر بحضور رئيس وزراء ماليزيا



سمو أمير البلاد يستقبل في مقر اقامته بـلاهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

● لقاءات خير وعمل تلك التي تمت في لاهور بين ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية لغدوة الاسلام والمسلمين ، وقد كان للكويت دور بارز في انجاح المؤتمر ، وكان لسمو الامير المفدى نشاط مرموق تجلى في اللقاءات المباركة التي تمت بين سموه وقادة المسلمين .

● تفصل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فادلي بنصرين عقب عودته من مؤتمر لاهور الاسلامي جاء فيه : يمتاز هذا المؤتمر بالنظرة الواقعية لما تواجهه الشعوب الاسلامية من قضايا ومشاكل ، وما يواجهه الاسلام كعقيدة من تحديات .

● زار البلاد وفد جزائري برئاسة الرئيس الجزائري هواري بومدين ليلبحث مع المسؤولين الكويتيين الوضع الراهن واحداث المنطقة . ويرى سمو الامير المعظم مع سيادة الضيف ومعهما سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وسعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة . قام رئيسي الاركان العامة بزيارة القوات الكويتية وقوات سلاح الطيران الكويتي المراقبة في جمهورية مصر العربية .

● تقيم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية احتفالها السنوي بذكرى مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في مسجد السوق الكبير عقب صلاة عشاء الخميس ١١ ربيع الاول .

● تقوم الوزارة بإرسال كميات كبيرة من المطبوعات الاسلامية باللغات المختلفة الى منطقة جنوب شرق آسيا وقارة افريقيا لما تعرض له المنطقتان من تشهير نصراني مركز .

● قرر مجلس الوزراء تقديم مزيد من المساعدات المالية للمسلمين في الفلبين .

## مصر :

● ألغيت الرقابة على جميع الصحف والمجلات ما عدا كتب ومجلات الجنس ، والكتب والنشرات التي تدعو إلى الإلحاد أو تطعن في الأنبياء أو تهاجم الأهداف القومية للبلاد .

● صادرت السلطات مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد إلى هيئات ومؤسسات خاصة في القاهرة والإسكندرية .. وتركز التزوير على حذف الآيات التي تتحدث عن اليهود وعن عيسى عليه السلام ، ويعتقد أن هذه المصاحف قد تم تزويرها في إسرائيل .

● قرر الأزهر عقد ندوات لطلبة الجامعات والمعاهد العليا عصر كل يوم لنشر تحفيظ القرآن الكريم .. وقد افتتح الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر أولى هذه الندوات بالجامع الأزهر .

● أجرى وفد إسلامي من جمهورية غينيا بيساو محادثات مع المسؤولين في الأزهر لبحث تدعيم العلاقات بين مصر وغينيا بيساو في المجال الإسلامي .

## السعودية :

● أدلى السيد عمر السقاف وزير الدولة للشئون الخارجية بتصريح جاء فيه : أن موقف المملكة من عروبة القدس قد أوضحه جلالة الملك فيصل أكثر من مرة وهو يتمثل في الإصرار التام على عروبة هذه المدينة المقدسة .

● أصبحت «رابطة العالم الإسلامي» عضوا في الأمم المتحدة .. كمنظمة عالمية غير حكومية .. وللرابطة نشاطات واسمة في مجال الدعوة الإسلامية والتقريب بين الشعوب الإسلامية .

● زار مائلا وزير الخارجية السعودي للوقوف على أحوال المسلمين في الفلبين .

## الجزائر :

● يبحث الملتقى الثامن للفكر الإسلامي الذي يعقد أوائل هذا الشهر في مدينة بجاية وضع الأقليات والجاليات الإسلامية ، ومساهمة الفكر الإسلامي في مجالات العلوم والفنون ، ودور الفكر المسلم تجاه أمته والإنسانية .

## سوريا :

● أعلن الرئيس السوري أن الحرب مع إسرائيل لم تنته ولن تنتهي بالنسبة إلى سورية ما لم تحرر الأرض العربية بكاملها وما لم تعد إلى شعب فلسطين حقوقه كاملة .

● صدر قرار حكومي بفرض غرامة مالية ضد كل من ينشر صورا مسيئة للأخلاق .

## السودان :

● سيفتتح في السودان مركز إسلامي تساهم فيه الدول العربية والإسلامية وذلك لنشر الإسلام في أفريقيا .

## أخبار متفرقة

### الفلبين :

● لا يزال المسلمون يقاومون بعنف الحملات الشرسة التي تستهدف إبادةتهم ولا يزالون يترقبون من المسلمين الموقف الحازم لنصرتهم وحميتهم .

### لاهور :

● رفع السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي تقريرا إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية تضمن إنشاء مجلس إسلامي أعلى يضم العلماء والفقهاء بهدف وضع خطة إسلامية ، تتمشى مع روح العصر ، وإنشاء جامعتين إسلاميتين في أوغندا والنيجر .

### كوالا لامبور :

● يقوم السيد تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك الإسلامي بجولة في الاقطار العربية لشرح التقدم الذي أحرزه بصدد إنشاء البنك .

### بانكوك :

● صرح مصدر مسئول بأن عددا من الشخصيات الإسلامية في تايلاند بصدد تأسيس هيئة للدفاع عن مصالح المسلمين في البلاد .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحامي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفروي						المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						مارس ١٩٧٤		أيارس ١٩٧٤		أيام الأسبوع
عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	دس	عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	دس	دس	دس	دس	دس	
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	الاثنين
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	الثلاثاء
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	الأربعاء
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	الخميس
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	الجمعة
١٩	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٩	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٩	١٨	١٨	١٨	السبت
١٩	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٩	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٩	١٨	١٨	١٨	الأحد
١٩	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٩	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٩	١٧	١٧	١٧	الاثنين
١٩	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٩	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٩	١٧	١٧	١٧	الثلاثاء
١٩	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٩	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٩	١٦	١٦	١٦	الأربعاء
١٩	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٩	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٩	١٦	١٦	١٦	الخميس
١٩	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٩	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٩	١٥	١٥	١٥	الجمعة
٢٠	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	٢٠	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	٢٠	١٤	١٤	١٤	السبت
٢٠	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	٢٠	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	٢٠	١٤	١٤	١٤	الأحد
٢٠	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	٢٠	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	٢٠	١٣	١٣	١٣	الاثنين
٢٠	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	٢٠	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	٢٠	١٢	١٢	١٢	الثلاثاء
٢٠	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	٢٠	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	٢٠	١٢	١٢	١٢	الأربعاء
٢٠	١١	١١	١١	١١	١١	٢٠	١١	١١	١١	١١	١١	٢٠	١١	١١	١١	الخميس
٢٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	٢٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	٢٠	١٠	١٠	١٠	الجمعة
٢١	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	٢١	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	٢١	١٠	١٠	١٠	السبت
٢١	٩	٩	٩	٩	٩	٢١	٩	٩	٩	٩	٩	٢١	٩	٩	٩	الأحد
٢١	٩	٩	٩	٩	٩	٢١	٩	٩	٩	٩	٩	٢١	٩	٩	٩	الاثنين
٢١	٨	٨	٨	٨	٨	٢١	٨	٨	٨	٨	٨	٢١	٨	٨	٨	الثلاثاء
٢١	٧	٧	٧	٧	٧	٢١	٧	٧	٧	٧	٧	٢١	٧	٧	٧	الأربعاء
٢١	٦	٦	٦	٦	٦	٢١	٦	٦	٦	٦	٦	٢١	٦	٦	٦	الخميس
٢٢	٦	٦	٦	٦	٦	٢٢	٦	٦	٦	٦	٦	٢٢	٦	٦	٦	الجمعة
٢٢	٥	٥	٥	٥	٥	٢٢	٥	٥	٥	٥	٥	٢٢	٥	٥	٥	السبت
٢٢	٤	٤	٤	٤	٤	٢٢	٤	٤	٤	٤	٤	٢٢	٤	٤	٤	الأحد
٢٢	٤	٤	٤	٤	٤	٢٢	٤	٤	٤	٤	٤	٢٢	٤	٤	٤	الاثنين

**أم المؤمنين  
السيدة حفصة رضي الله عنها**

**اسمها** : حفصة ، وأبوها أبو حفص عمر بن الخطاب ، وأمها زينب بنت مضمون .

**مولدها** : ولدت قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات .

**زواجها** : تزوجها الصحابي الجليل خنيس بن حذافة ، وكان من مهاجري الحبشة وشهد أحدا ومات سنة ثلاث من الهجرة وكانت آنذ في سن الثامنة عشرة . وتزوجها رسول الله بعد السيدة عائشة سنة ثلاث من الهجرة على الأرجح .

**روايتها للحديث** : روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حديثا ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها ، وانفرد مسلم بستة .

**حفظها للمصحف** : أم المؤمنين حفصة هي الحافظة الأمانة على أول نسخة من المصحف الشريف ، وذلك انه لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه الأعلى جمع أبو بكر المصحف الكريم وأودعه عند أم المؤمنين حفصة ، وبقي المصحف لديها حتى أخذه عثمان بن عفان رضي الله عنه فتنسخ منه النسخ التي وزعت في الأمصار .

**وفاتها** : تفرغت حفصة للعبادة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشت صوامع قوامه حتى فارقت الدنيا سنة خمس وأربعين من الهجرة .



## « إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

- |            |  |
|------------|--|
| مصر :      | القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.   |
| السودان :  | الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : ( ٣٥٨ ) .  |
| ليبيا :    | طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : ( ١٣٢ ) .<br>بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : ( ٢٨٠ ) .   |
| تونس :     | مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .   |
| المغرب :   | الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي .   |
| لبنان :    | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٨ ) .  |
| عُدن :     | مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٧ ) .  |
| الأردن :   | عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) .  |
| السعودية : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ ) .<br>الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٢ ) .<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ ) .<br>الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : ( ٢٢ ) .<br>مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .<br>المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| المراق :   | بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .  |
| البحرين :  | المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .   |
| قطر :      | الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : ( ٥٢ ) .  |
| أبو ظبي :  | شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : ( ٨٥٧ ) .  |
| دبي :      | مطبعة دبي .  |
| الكويت :   | مكتبة الكويت المتحدة .   |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

## اقرأ في هذا العدد

المولد النبوى .....	الدكتور محمد عيد الرعوف .....	٤
التخلف الحضارى بين المسلمين .....	الدكتور محمد البهى .....	٩
من عيد الهجرة الى عيد المولد .....	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى .....	١٦
عصمة النبى .....	الدكتور وهبه الزحلى .....	٢٢
مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور .....	اعداد الاستاذ عبد الحليم عويس .....	٣٠
مائدة القارىء .....	.....	٢٨
ميلاد الرسول الاعظم .....	الشيخ عبد الحميد السائح .....	٤٠
مشاهد من السيرة النبوية .....	الاستاذ محمد المجذوب .....	٤٥
الاسلام ومعاملة الاسرى .....	الدكتور احمد الشرياهى .....	٥٢
تصور جديد لربا الفضل .....	الدكتور احمد صفى الدين عوفى .....	٥٧
المنجزات الاسلامية فى القرن العشرين .....	الدكتور محمود زايد .....	٧٠
النزى الاسلامى .....	الدكتور احمد الحجى الكردى .....	٧٨
العود المجهود ( قصة ) .....	الاستاذ محمد رشدى عبيد .....	٨٤
عالم الاسلام ( كتاب الشهر ) .....	عرض الاستاذ احسان هدى احمد .....	٩٢
الطاهر بن عاشور .....	الاستاذ انور الجندى .....	٩٦
مكتبة المجلة .....	اعداد الاستاذ عبد الستار فيض .....	١٠١
الفتاوى .....	التحرير .....	١٠٢
بريد الوعى .....	اعداد عبد الحميد رياضى .....	١٠٥
قالت الصحف .....	التحرير .....	١٠٧
باقلام القراء .....	التحرير .....	١٠٩
الأخبار .....	اعداد الاستاذ فهمى الامام .....	١١١
مواقب الصلاة .....	.....	١١٢
ام المؤمنين السيدة حفصة .....	.....	١١٤